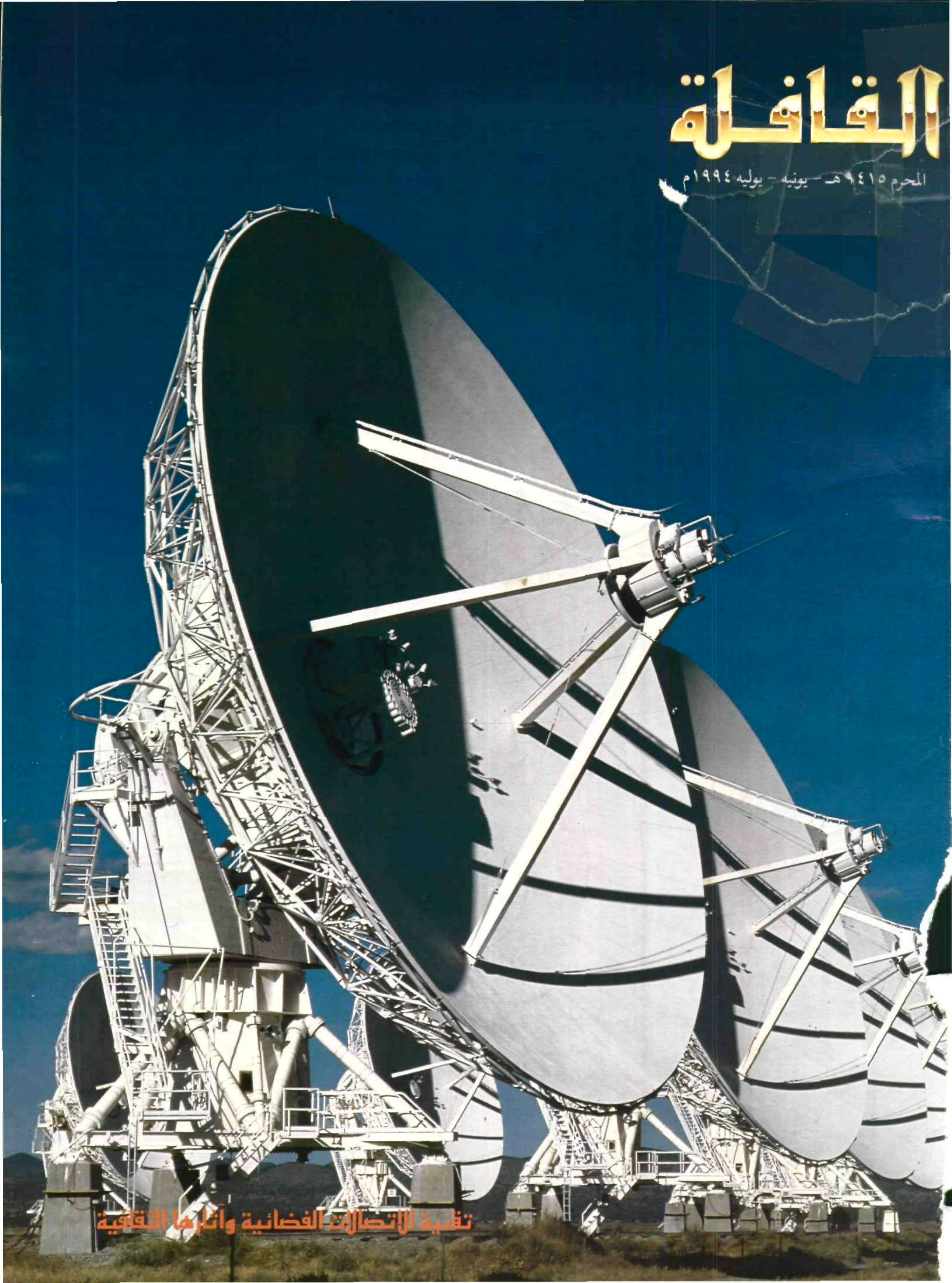


القافلة
المحرم ١٤١٥هـ - يونيه - يوليه ١٩٩٤م
تقنية الاتصالات الفضائية وآثارها الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة

AL-QAFILAH

العدد الأول - المجلد الثالث والاربعون

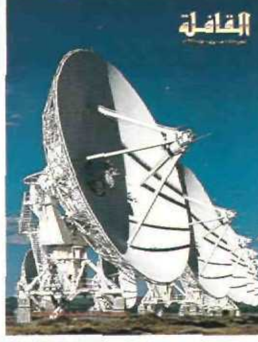
June – July 1994 | ISSN 1319 - 0547 ردمـد | المحرم ١٤١٥ هـ

في هذا العدد :

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ما ينشر في القافلة يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولايعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- لا يجوز نشر الموضوعات والصور التي تظهر في القافلة إلا بإذن خطي من هيئة التحرير.
- لا تقبل القافلة إلا أصول الموضوعات التي لم يسبق نشرها.

العنوان :
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران ٣١٣١١
المملكة العربية السعودية
هاتف : ٨٧٥٦٣٩٢
٨٧٤٠٧٠٦
فاكس : ٨٧٣٨٤٩٠

الغلاف



تصوير : Science Photo Library

مجلة ثقافية تصدر شهرياً عن إدارة العلاقات العامة في شركة ارامكو السعودية لموظفيها ـ توزع مجاناً

تصميم وطباعة مطابع التريكي - الدمام
Designed and Printed by Altraiki Printing Press, Dammam

من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

بقلم : د. زغلول راغب محمد النجار
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

(١) ﴿ .. وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ... ﴾ (الحديد - ٢٥).

في دراسة لتوزيع العناصر المختلفة في الكون لوحظ ان غاز الهيدروجين هو اكثر العناصر شيوعا، ويليه في الكثرة غاز الهيليوم، ويكونان معا اكثر من ٩٨٪ من مادة الكون المنظور، بينما تكون باقي العناصر المعروفة لنا مجتمعة اقل من ٢٪، وقد أدى ذلك إلى الاستنتاج المنطقي ان العناصر المعروفة لنا تتكون في داخل النجوم عن طريق تفاعلات نووية حرارية تعرف باسم عملية الاندماج النووي التي تنطلق منها كميات هائلة من الحرارة، فشمسنا تتكون اساسا من غاز الهيدروجين الذي تندمج انويته مع بعضها في درجات حرارة مرتفعة جدا لتكون غاز الهيليوم بانطلاق طاقة هائلة تبلغ عشرة ملايين درجة مئوية، ويتحكم في هذا التفاعل عاملان مهمان هما زيادة نسبة غاز الهيليوم المتكون بالتدريج وتمدد الشمس، وباستمرار هذه العملية تزداد درجة الحرارة في داخل الشمس تدريجيا، وبازديادها ينتقل التفاعل إلى المرحلة التالية التي تندمج فيها ذرات الهيليوم مع بعضها البعض منتجة الكربون ١٢، ثم الاوكسجين ١٦، ثم النيون ٢٠ وهكذا.

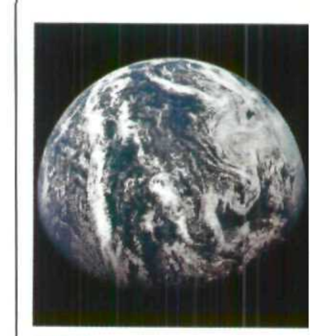
وتقدر درجة حرارة سطح الشمس بحوالي ٦٠٠٠ درجة مئوية، وتزداد هذه الحرارة تدريجيا عند المركز إلى اكثر من ٢٠ مليون درجة مئوية، ويقدر العلماء انه عندما يتحول نصف الهيدروجين الشمسي تقريبا إلى الهيليوم ستصل درجة حرارة هذا النجم إلى حوالي ١٠٠ مليون درجة مئوية، ويدفع ذلك الهيليوم المتكون إلى المراحل التالية في الاندماج النووي مكونا عناصر اثقل في وزنها الذري ومطلقا طاقة حرارية هائلة، ويقدر العلماء ايضا انه عند درجة ٦٠٠ مليون درجة مئوية يتحول الكربون إلى صوديوم ومغنسيوم ونيون، ثم تنتج التفاعلات النووية التالية عناصر الالومنيوم، والسيليكون، والكبريت، والفسفور، والكلور، والارغون، والبوتاسيوم والكالسيوم على التوالي مع ارتفاع مطرد لدرجة الحرارة، وفي النهاية تصل درجة حرارة النجم إلى ٢٠٠٠ مليون درجة مئوية حين تتحول هذه العناصر إلى مجموعة الحديد والتيتانيوم (التي تشمل كلا من الكروم والمنغنيز والحديد والنيكل والنحاس والزنك)، ولما كانت هذه التفاعلات تحتاج إلى درجات حرارة مرتفعة جدا لا توجد الا داخل نجوم خاصة تعرف باسم المستعرات (Novay) وفوق المستعرات (Super Novay)، في فترات محددة من تاريخها، ولما كانت نسبة الحديد إلى السيليكون فى شمسنا اقل منها في الأرض وفي النيازك التي تصل إليها، ولما كانت درجة الحرارة داخل الشمس لم تصل بعد إلى الحد الذي يمكنها من انتاج السيليكون أو المغنيسيوم أو الحديد، كان من البديهي افتراض ان الشمس قد استمدت هذه العناصر من مصدر آخر، وكان لزاما على العلماء ان يسلموا بعملية تطور هذه العناصر التي لخصها كل من العالم البريطاني فريد هويل (Fred Hoyle) وزميله الامريكي فاولر (Fawlor) التي تنادي بنشأة كل العناصر المعروفة (والتي عرف الانسان منها اكثر من ١٠٠ عنصر) بعملية الاندماج النووي لذرات غاز الهيدروجين في داخل النجوم وبذلك تزداد درجة حرارة النجم الداخلية

بالتدريج ويزداد تمدده حتى لا يستطيع الاحتفاظ بكل مكوناته فتنفصل على هيئة افلاك تنطلق من خلال القوة الطاردة المركزية بعيدا عن النجم حتى يتساوى قدر القوة الطاردة المركزية مع قوة جاذبية النجم الأم فيقف ذلك الفلك على مسافة محددة من النجم ثم يدور حوله في مدار محدد .

وقد اجريت حسابات نظرية على ما سوف تكون عليه الشمس مستقبلا باستمرار عملية الاندماج النووي بداخلها فاستنتج العلماء انه لو استمر الامر على ما هو عليه الآن فسوف تزداد شدة ضياء الشمس إلى الف مرة، ويزداد نصف قطرها إلى مئة ضعف قدره الحالي، وبعد ذلك التوهج والانتفاخ ستنكمش الشمس إلى ١ / ٢٠ من حجمها الحالي عندما تتوقف التفاعلات النووية بداخلها وتصبح شمسنا المشرقة نوعا من النجوم البيض الباردة المعروفة باسم «النجوم البيض القزمة» .

وبالنظر في الكون المحيط بنا نرى السدم التي تتكون بداخلها النجوم، ونرى انماطا مختلفة من النجوم في دورات متتالية من مراحل تكوينها واندثارها، ونرى ان الأرض التي نحيا عليها لها لب صلب يغلب على تركيبه الحديد والنيكل، ويمثل هذا اللب الصلب غالبية كتلة الأرض، ونرى انماطا من النيازك التي تصل إلى ارضنا من الفضاء الكوني يغلب على تركيبها الحديد (النيازك الحديدية) ومن هنا كان الافتراض المنطقي المقبول ان الكون بدأ بسحابة دخانية تشبه السدم الحالية، وان هذه السدم بدأت مادتها تتكثف على هيئة نجوم تشبه شمسنا بينما دار حولها فضلات من هذا الدخان الذي تكسر دوامات ذات حجوم وكتل وترتيب مختلف في داخل كل منطقة نصف قطرية حول النجم، وبتكثف كل من هذه الدوامات على ابعاد نصف قطرية من النجم تكونت الكواكب الابتدائية ومنها ارضنا الابتدائية .

وبديهي ان الكواكب الحالية أصغر بكثير في حجمها من نظائرها الابتدائية ومختلفة عنها في التركيب، ويقدر العلماء ان الأرض الابتدائية كانت اكبر من ارضنا الحالية بحوالي ٥٠٠ مرة في حجمها وقد بدأت في التكثف على بعضها ككومة من التراب كانت في بادىء امرها باردة تماما ثم اخذت درجة حرارتها في الارتفاع تدريجيا بعملية الاشعاع والطاقة الناتجة عن استقرار مادة لب الأرض في قلبها، ولما كانت درجات حرارة الشمس التي تتبعها ارضنا لا تسمح بتكون الحديد فيها، ولما كانت كمية الحديد والنيكل في لب الأرض تشكل غالبية كتلة الأرض اتجه العلماء إلى تقدير ان الأرض الابتدائية في مراحل تكونها الأولى، وهي على هيئة كتلة ترابية تتكثف على بعضها، تعرضت إلى وابل من النيازك الحديدية انطلقت اليها من الفضاء الكوني واستقرت في لبها نظرا لكثافتها العالية وانصهرت من جراء حرارة الاستقرار وحرارة الاشعاع كما اشرنا فأدت إلى تمايز ارضنا إلى لب صلب يغلب على تركيبه الحديد والنيكل، يليه إلى الخارج لب سائل به ايضا نسبة عالية من الحديد والنيكل المنصهر، ويلي ذلك إلى الخارج اربعة انماط من الأوشحة المتباينة في صفاتها الكيميائية والطبيعية ويغلف ذلك كله الغلاف الصخري للأرض .



من هنا ساد بين العلماء المعاصرين الاعتقاد بان مجموعة معادن الحديد الموجودة في الأرض التي تشكل غالبية كتلتها لا يمكن ان تكون قد تكونت في الشمس التي لم تصل درجة حرارتها بعد إلى الدرجة المطلوبة لتكون تلك العناصر بعملية الاندماج النووي، بل لابد ان تلك المعادن الثقيلة قد تكونت في داخل بعض المستعرات وفوق المستعرات من النجوم التي بانفجارها تناثرت اشلاؤها على هيئة وابل من النيازك الحديدية وصلت إلى ارضنا الابتدائية التي كانت غالبية تكوينها من العناصر الخفيفة فاستقرت العناصر الحديدية في لب الأرض وساعدت على تشكلها بهيئتها الحالية، من هنا اصبح من الثابت ان حديد الأرض ليس من الأرض وانما قد ارسل اليها من الفضاء الكوني وهي حقيقة لم يتوصل العلماء إلى فهمها الا منذ سنوات قليلة فسبحان الذي اوحى إلى محمد ﷺ ذلك النبي الامي بتلك الحقيقة الكونية قبل الف واربعمائة سنة في وقت لم يكن لاحد على سطح الأرض ادراك لجزء من هذه الحقيقة فقال عز من قائل ﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ... ﴾ (الحديد الآية ٢٥) .

(٢) ﴿ ..وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ (النازعات : الآيتان ٣٠-٣١)

اختلفت العلماء في فهم دلالة الفعل «دحاها» في تلك الآية الكريمة، ولكن حينما سئل ابن عباس «رضي الله عنهما» عن معنى «دحاها» قال : فسرها ما جاء بعدها اي «اخرج منها ماءها ومرعاها» .

وقد اثبت العلم الحديث ان كل ماء الأرض خرج من تحت قشرة الأرض مع النشاط البركاني الذي صاحب تكوين القشرة الأرضية، وقد استدل العلماء على ذلك بالنسب العالية من بخار الماء الذي يتصاعد من فوهات البراكين في اثناء ثوراناتها الحالية، وتتعدى نسبة بخار الماء في الغازات المتصاعدة من فوهات البراكين المعاصرة السبعين بالمئة بينما يتكون الباقي من اخلاط مختلفة من اول وثاني اكسيد الكربون وبعض اكاسيد الكبريت ونسب ضئيلة من الغازات الخاملة.

وتلعب هذه الأبخرة والغازات المتصاعدة من فوهات البراكين دورا رئيساً في تكوين كل من الغلافين المائي والغازي للأرض.

فالأرض هي الكوكب الوحيد في مجموعتنا الشمسية الذي يتميز بغناه في الماء الذي يغطي اكثر من ٧٠٪ من مساحة سطحه، فقد شاءت ارادة الله ان يسكن في الأرض هذا القدر من الماء الكافي لمتطلبات الحياة عليها، ولحفظ التوازن الحراري على سطحها ولتقليل الفروق بين درجات الحرارة في كل من الصيف والشتاء صونا للحياة، وهذا القدر من الماء الذي يكون الغلاف المائي للأرض موزون بدقة بالغة فهو لا يزيد حتى يغطي كل سطحها ولا يقل حتى يقصر دون متطلبات الحياة عليها، وهو يتحرك في دورة معجزة تعرف باسم «دورة الحياة الأرضية» لولاها لفسد ماء الأرض ولم تعد صالحة للحياة.

وتقدر كمية المياه على سطح الأرض بحوالي ١,٣٦ × ١٠^١٨ مترا مكعبا، اغلبها في البحار والمحيطات (٩٧,٢٪)، بينما يتجمع الباقي في المناطق القطبية وعلى قمم الجبال على هيئة كتل هائلة من الجليد (٢,١٥٪) او يجري في مختلف المجاري المائية ويتجمع في بحيرات الماء العذب، وفي خزانات المياه تحت السطحية (ويشكل ذلك كله نسبة تقدر بـ ٠,٦٥٪).

ويدور هذا الماء في دورة معجزة فيتبخر بفعل حرارة اشعة الشمس مباشرة من اسطح البحار والمحيطات، والانهار والبحيرات، والبرك والمستنقعات، ومن اسطح تجمعات الجليد، كما يتبخر بطريقة غير مباشرة من صفحة المياه تحت السطحية، ومن غير ذلك من مختلف صور وهيئات تجمع الماء على سطح الأرض، كما ينطلق إلى الهواء من فوهات البراكين، ومن عمليات تنفس وعرق او نتح الكائنات الحية فيرتفع بخار الماء إلى الطبقات الدنيا من الغلاف الغازي للأرض (نطاق الجو أو نطاق التغيرات الجوية، ويبلغ سمكه في المتوسط ١٣ كيلومترا فوق خط الاستواء وان كان يتناقص في اتجاه القطبين ليتراوح سمكه بين ٧ - ٨ كيلومترات فقط، وهذه الطبقة الدنيا من الغلاف الغازي تتناقص فيها درجات الحرارة باستمرار مع الارتفاع حتى حدها مع الطبقة التي تعلوها، وعنده تصل درجة الحرارة إلى - ٨٠°م فوق خط الاستواء وإلى - ٥٥°م فوق القطبين، ونظرا لهذا الانخفاض في درجة الحرارة وإلى وفرة نوى التكثف وإلى سرعة تمدد بخار الماء نتيجة لانخفاض الضغط مما يساعد على برودته فإن هذا البخار يتكثف ويرتد إلى الأرض على هيئة مطر او برد او ثلج، وبدرجة اقل على هيئة ندى وضباب.

وماء المطر يسقط بمعدل ٣٨٤ الف كيلومتر مكعب في السنة على البحار والمحيطات، وبمعدل ٩٦ الف كيلومتر مكعب على اليابسة، ولما كان ما يتبخر من اسطح البحار والمحيطات في السنة يقدر بحوالي ٣٢٠ الف كيلومتر مكعب، أي اكثر مما يسقط عليها من مطر بـ ٣٦ الف كيلومتر مكعب، كان لابد ان تتحرك هذه الكمية من اليابسة إلى البحار حتى تظل الأخيرة محتفظة بكمية ثابتة من المياه فيها، ومن الغريب ان هذا القدر من الماء هو بذاته الفارق بين ما يسقط على سطح اليابسة من ماء المطر (٩٦ الف كيلومتر مكعب في السنة) وما يتبخر منها إلى الجو (٦٠ الف كيلومتر مكعب في السنة) حيث يفيض الفارق (٣٦ الف كيلومتر مكعب في السنة) إلى البحار والمحيطات وما يسقط عليها من مطر في السنة. وقد حار العلماء منذ القدم في فهم المصدر الذي جاء منه ماء الأرض، فمنهم من نادى بان اصل هذا الماء ناتج عن تفاعل غازي الهيدروجين والاكسجين في الغلاف الغازي للأرض، فمنهم من قال ان اصل هذا الماء انزل مع انزال الأرض في مراحلها الأولى من الخلق، ولكن الاستقراء المعاصر يؤكد على أن كل ماء الأرض خرج اصلا من تحت قشرتها نتيجة للنشاط البركاني على مختلف اجزاء تلك القشرة الأرضية وهذه حقيقة لم يعرفها العلماء الا في هذا القرن من الزمان وقد نزل القرآن الكريم قبل اربعة عشر قرنا ليؤكد على ان ماء الأرض كله من الأرض وهي حقيقة لم يكن يعلمها احد في وقت تنزل القرآن الكريم ولا لمئات من السنين من بعد ذلك، فسبحان الذي دحى الأرض فاخرج منها ماءها ومرعاها، وسبحان الذي انزل ذلك في محكم كتابه قبل ان تصل البشرية إلى شيء من فهم ذلك ■

الجامعة وبرامج التعليم المستمر

بقلم : د. خضير بن سعود الخضير
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

تدل كلمة الجامعة على المؤسسة التي تضم وتجمع القوى في مختلف مجالات العلوم، وقد استعملت الكلمة لتدل أيضاً على التجمع العلمي لكل من الأساتذة والطلاب. والجامعة مؤسسة للتعليم العالي يمكن أن يلتحق بها من أتم المرحلة الثانوية، وهي تقدم برامج تعليمية وتدريبية في شتى المجالات والتخصصات النظرية والعملية.

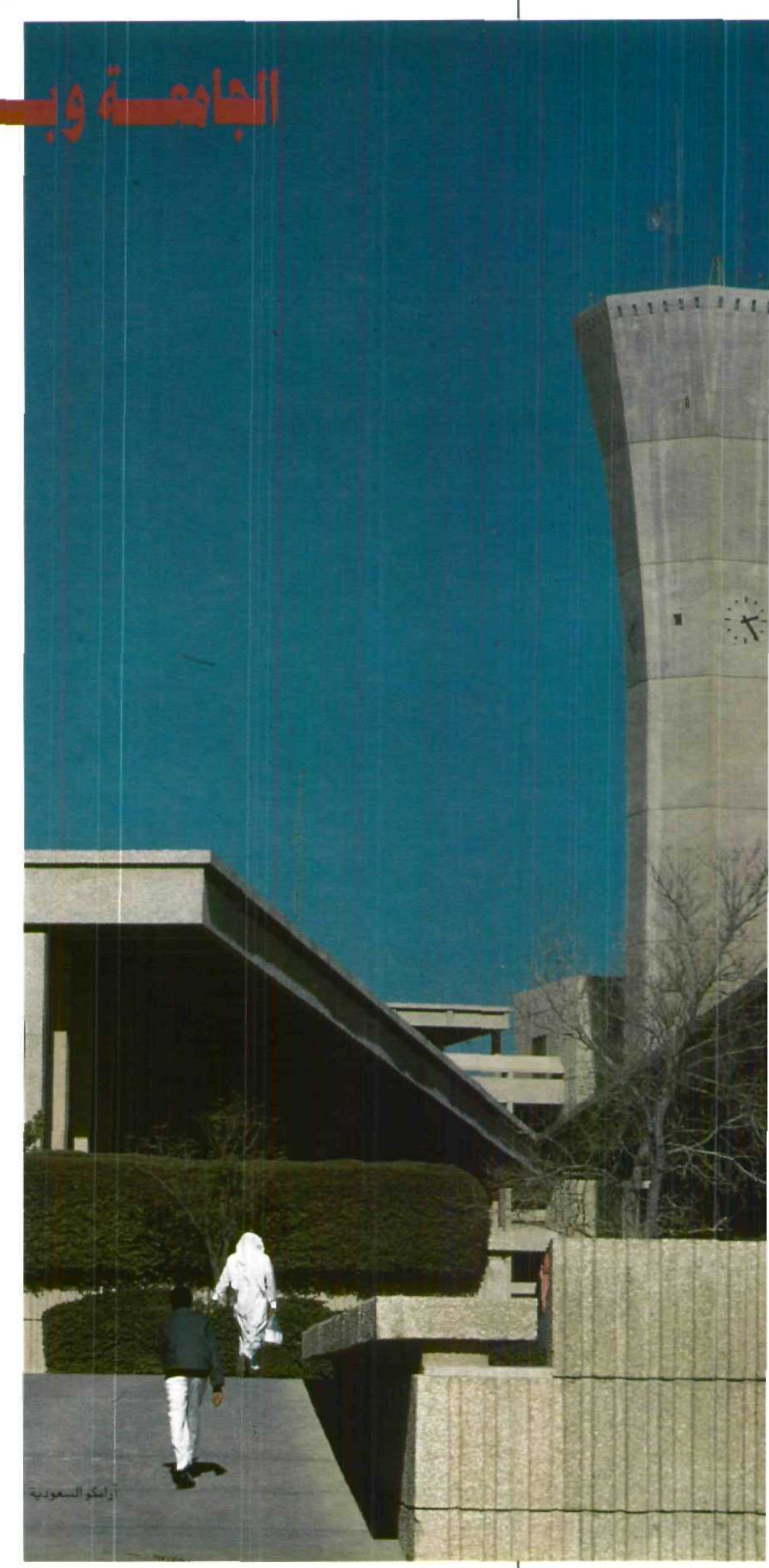
ولقد ظلت كثير من الجامعات في معظم بلدان العالم وعلى مدى فترة طويلة من تاريخها في عزلة عن أحداث المجتمعات التي تعيش فيها، متقوقعة في أبراجها العاجية تجتهد في طلب المعرفة لذاتها وينشد المنتمون إليها من الأساتذة المتعة في القراءة والبحث في الأمور النظرية دون التطبيق، الأمر الذي أدى إلى اقتصار جهودها على مجال التدريس والبحوث الأساسية.

وأمام تحديات العصر ومتغيرات الثورة التكنولوجية وزيادة الطلب على التعليم بشتى فروعه ومراحله وأمام الضغوط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية أصبح التعامل مع هذه المتطلبات الجديدة ضرورة حتمية فقد بات لزاماً على الجامعات أن تعيد النظر في وظائفها وأهدافها.

وظائف الجامعة :

يرى كثير من التربويين أن وظائف الجامعة تتلخص في الآتي:

- المساهمة في تخريج دفعات من الأفراد المؤهلين مهنياً.


أرامكو السعودية

- اعداد البحوث النظرية التي تثري المكتبة في شتى فروع المعرفة والقيام بالبحوث التطبيقية رغبة في الوصول إلى الحلول المناسبة للمشكلات التي تعيق مسيرة التنمية في المجتمع.

- الخدمة العامة من خلال نشر المعرفة بين صفوف الأفراد على مختلف مستوياتهم.

وتتمكن الجامعة من أداء وظيفتها الثالثة من خلال ما يعرف في الوقت الحاضر بالتعليم المستمر وخدمة المجتمع.

وقد اصطلح المختصون على أن التعليم المستمر هو الذي لايرتبط بزمن محدد أو بسن معينة أو بمكان معين فهو التعليم الذي يتضمن الإعداد الشامل للانسان طبقاً لمسلك تربوي طوال حياته ويتطلب نظاماً كاملاً يأخذ بعين الاعتبار طبيعة البيئة الاجتماعية المحيطة واعداد البرامج التي تحقق التطلعات التربوية والثقافية والعلمية لكل فرد بالشكل الذي يتفق مع قدراته واستعداداته.

وتشتمل برامج التعليم المستمر على البرامج غير النظامية والنظامية لجميع المراحل التعليمية ابتداء من التعليم قبل المدرسي والتعليم المدرسي والتعليم الجامعي والتأهيل والتدريب قبل الخدمة وخلالها والبرامج الاجتماعية وبرامج محو الأمية وكذلك جميع أوجه الأنشطة الثقافية والفنية.

ويتبلور اخراج هذه البرامج من خلال الدورات الدراسية القصيرة غير الأكاديمية، والندوات وحلقات النقاش، والدورات التدريبية، وورش العمل، والحلقات العلمية، وبرامج الدراسة بالمراسلة، وبرامج الدراسة الذاتية، وبرامج الجامعة المفتوحة، وكذلك بعض البرامج الأكاديمية التي تخضع لبعض المعايير المتعلقة بالنوعية والمستوى.

أما أهداف التعليم المستمر فتتلخص فيما يلي :

* تزويد الأفراد بالفرص التعليمية التي تتفق مع احتياجاتهم وطموحاتهم وامدادهم بالخبرات والمهارات التي تحتاج إليها مجالات تخصصاتهم ومهنهم.

* تزويد المؤسسات الانتاجية والصناعية بالبرامج والدورات الدراسية التي تسهم في رفع مستوى منسوبيها وجودة منتوجاتها.

* اتاحة الفرصة أمام الأفراد في الاستفادة من استعمالات الأجهزة الحديثة في انجاز أعمالهم.

* تطوير كفاءة الأفراد واكسابهم الخبرات لتحسين امكاناتهم وقدراتهم وشحذ أذهانهم على التفكير في المشكلات العملية التي تواجههم في مواقع العمل.

* اتاحة الفرصة أمام الأفراد ممن لم يحالفهم الحظ في التطور من خلال التعليم النظامي في تحقيق بعضاً من طموحاتهم العلمية.



أرامكو السعودية

* اقامة علاقة جيدة بين المؤسسات التعليمية والمؤسسات الانتاجية الصناعية.

* تطوير أعضاء هيئة التدريس في الجامعات باتاحة الفرصة لهم للتعرف من خلال الحوار والمناقشات في الدورات إلى أهم المشكلات التي تواجه المجتمع.

* تطوير برامج المؤسسات التعليمية حيث من خلالها يتفهم القائمون على هذه المؤسسات التخصصات الملحة التي تعاني نقصاً في الكوادر البشرية أو تعالج

مشكلات تقنية وفنية يعاني منها المجتمع في مسيرته التنموية.

تخطيط برامج التعليم المستمر :

يأتي التخطيط السليم لبرامج التعليم المستمر من الرؤية الواضحة لواقع المجتمع من حيث قيمه



الاجتماعية وتقاليده من جهة ومتطلباته وخططه التنموية من جهة أخرى.

ولكي يكون التخطيط ملائماً لابد من أن يكون مبنياً على أسس علمية، كأن يتمكن المخططون من معرفة اعداد الأفراد المستفيدين من هذه البرامج وكيفيتها ونوعيتها، كما لابد من توفر بعض الاحصاءات عن اعداد المصالح والمؤسسات الانتاجية الصناعية التي قد تستفيد من تلك البرامج المزمع تقديمها.

ومن المهم معرفة المشكلات التي يعاني منها المجتمع لكي يتم ادراجها ضمن برامج التعليم المستمر كمشكلات التآكل في بعض مناطق العالم خاصة منطقة الخليج العربي، وتلوث البيئة والأمن والسلامة في المصانع إلى غير ذلك من الأمور المهمة التي يصبح الكشف عن اخطارها ومعرفة الطرق السليمة لعلاجها وتفادي اضرارها ضرورة ملحة. ومهما كانت البرامج المقدمة فهي عادة تتلخص في برامج عامة لخدمة المجتمع، وبرامج مهنية، وبرامج ومشروعات خاصة.

تنظيم برامج التعليم المستمر في الجامعات :

تنظم برامج التعليم المستمر في الجامعات وفقاً لاتجاهين:

الاتجاه الأول : تقوم وحدة أو كلية أو قسم مستقل بعرض هذه البرامج وتقديمها للمستفيدين.

الاتجاه الثاني : تقوم الكليات المختلفة بتقديم هذه البرامج وكل كلية أو قسم مستقل عن الآخر في تحديد برامجه وتنظيمها وعرضها.

والاتجاه الحديث في مجال تنظيم برامج التعليم المستمر يقضي بتشكيل وحدة أو قسم مستقل يقوم بتمثيل جميع الأقسام والكليات في تنظيم تلك البرامج وعرضها. وقد أيد ذلك الاتجاه الرغبة في وحدة الاتصال بين المستفيدين والجامعة وضرورة التعامل مع وحدة معينة فيما يتعلق بعملية تنظيم الصرف على هذه البرامج، حيث يكون لهذه الوحدة ميزانية خاصة على هذه البرامج ومعرفة الايرادات والمصروفات بطريقة ميسرة، كما تعتبر هذه الوحدة ادارة محايدة للنظر في تقويم تلك البرامج المقدمة من مختلف الأقسام الاكاديمية.

تمويل برامج التعليم المستمر :

من الأسس المهمة لأي برنامج للتعليم المستمر تحقق

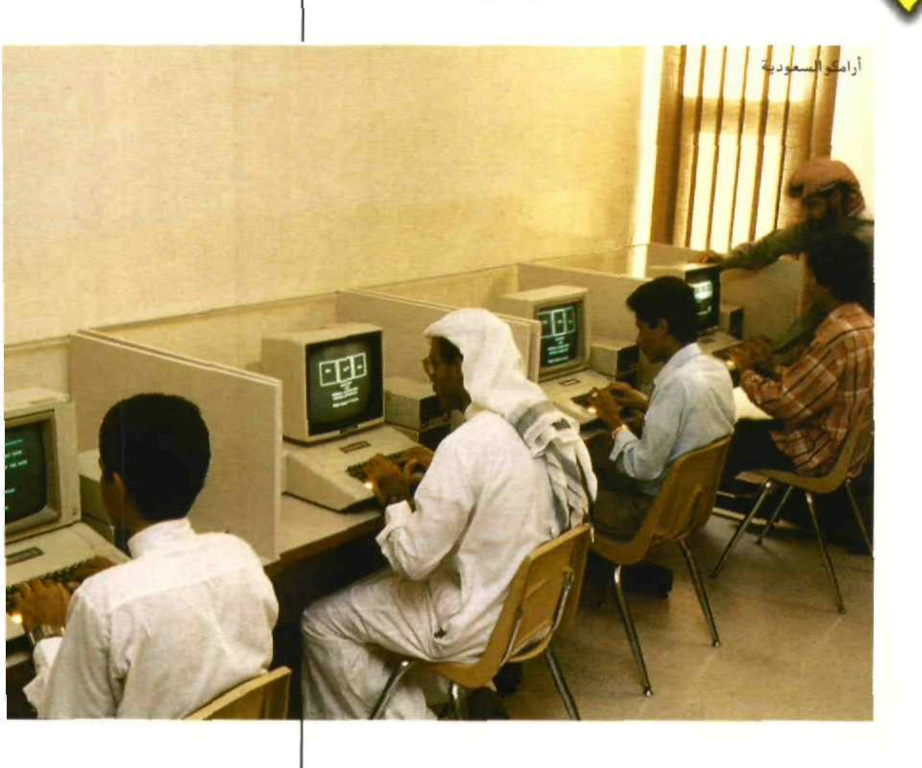
أهدافه بأقل تكلفة ممكنة، لذلك فإن أي نفقات يجب أن تراعي أولويات وحاجات المجتمع والأفراد دون أي تبذير أو تبديد للأموال. وتختلف طرق تمويل التعليم بصفة عامة وتمويل برامج التعليم المستمر بصفة خاصة من بلد لآخر. فبينما نجد في بعض البلدان أن الطلاب يقومون بدفع تكاليف تعليمهم مهما كان نوعه، فاننا نجد السلطات التعليمية في بلدان أخرى تقوم بدفع جميع تكاليف التعليم ولاتكتفي بذلك بل ويتقاضى الطلاب رواتب لجلوسهم على مقاعد الدراسة للاستفادة، ويمكن القول بأن أي برنامج تربوي يكون تمويله عادة من أحد المصادر الثلاثة الآتية :

أولًا : الأفراد :

ينطلق مبدأ تمويل الأفراد لبرامج التعليم المستمر من أن التعليم المقدم في الجامعة أو الكلية هو سلعة يحتاج إليها الفرد وعليه أن يقوم بدفع تكاليف صناعتها، ولكي تكون السلعة مرغوبة وجذابة يجب أن تكون ذات نوعية ممتازة وسعر معقول، وتبعاً لذلك فقد أخذت العديد من المعاهد والجامعات باعداد هذه البرامج التي بدأ الاقبال عليها يزداد زيادة ملحوظة نظراً لرغبة الأفراد في تطوير قدراتهم ورغبة بعضهم في تأهيل أنفسهم في مجالات جديدة. ولكن هذه البرامج التي تمول بصفة رئيسة من الأفراد قد تعاني من بعض السلبيات، حيث تقتصر الاستفادة منها على فئة صغيرة من الناس ممن لديهم القدرة على تحمل دفع مصاريف هذه الدورات، مع العلم أن هناك دورات يجب أن توفر لكل أفراد المجتمع لأنها تعود عليهم بالنفع كبرامج التثقيف الصحي وشئون السلامة وتزويد الأطباء ببعض المعلومات في مجال تخصصاتهم، كما أن هذه البرامج التي يقتصر تمويلها على الأفراد معرضة لعدم الاستمرار لأن القائمين عليها يرون أنها مشروعات خاصة قد ترفع الأرباح وبالتالي يشعر المستفيدون أن هذه البرامج ذات طابع تجاري ويجب تفاديها أو عدم الاستمرار بها.

ثانياً : التمويل الحكومي :

يأتي مفهوم التمويل الحكومي للتعليم بصفة عامة من منطلق توفير فرص تعليمية متساوية لجميع الأفراد، ومن هنا قام مبدأ التعليم الالزامي وهو تزويد الأفراد


أرامكو السعودية

بقسط من التعليم يساعدهم على تحقيق الحد الأدنى من الاستعداد المعرفي، ليتمكنوا من معرفة واجباتهم وحقوقهم في المجتمع الذي يعيشون فيه. وتختلف مدة التعليم الالزامي من دولة إلى أخرى، فقد تكتفي دولة في تقديم التعليم الابتدائي بصفة الزامية لأبنائها، وأخرى قد ترى أن المرحلة الاعدادية هي الحد الأقصى لما تقدمه مجاناً، وثالثة ترى أن انهاء المرحلة الثانوية هو واجب الزامي على الدولة لتوفيره للأفراد. وتقدم بعض الدول التعليم العالي مجاناً لمن يرغب الالتحاق بمراحل التعليم المتقدمة. ومن خلال هذه المرحلة تقوم الدولة بتمويل البرامج الجامعية الاكاديمية التقليدية وكذلك برامج التعليم المستمر. نظراً لأهميتها في تطوير مدارك الأفراد وتوسيع أفقهم وتأهليهم ببعض المعلومات التي يرى المجتمع أنهم في حاجة إليها كما هو الحال بالنسبة لبرامج الثقافة العامة والاسعافات الأولية ونشر الوعي الصحي وبرامج تعليم الكبار ومحو الأمية.

ومع أن هذه البرامج كما هو مفترض تعود على الأفراد بالفائدة الكبيرة وقد تستقطب الكثير من المستفيدين لأنها برامج مجانية، إلا أنه يؤخذ عليها عدم الجدية من جانب الأفراد خاصة فيما يتعلق بالحضور، كما أن المدرسين أنفسهم لايعيرون هذه الدورات جل اهتمامهم لأنها لاتعود عليهم بأي مردود مادي اضافة إلى رواتبهم، لأن



أرامكو السعودية

التعليم المستمر يعتبر في بعض الجامعات جزءاً لايتجزأ من صميم عمل أعضاء هيئة التدريس، ولذا فان الحماس من جانب المدرسين يقل من دورة لأخرى. أما من جانب الأفراد فان اهتمامهم بهذه البرامج لايتعدى حضورهم ليوم أو يومين كما أنهم لايتحملون أي مصاريف لقاء حضورهم للدورة الأمر الذي يتسبب في عدم انضباطهم وإهدار الموارد، ويضاف إلى ذلك أن هذه البرامج تنقصها المتابعة والتقويم اللذان يحددان فاعلية الاستفادة منها.

ثالثاً : التمويل من المؤسسات الخاصة :

يزداد طلب المؤسسات الصناعية والانتاجية على الدورات القصيرة التي يرى القائمون على هذه المؤسسات أن تطوير منسوبيهم في مجالات الادارة والهندسة والتقنية بصفة عامة سوف ينعكس على تلك المؤسسات في صورة ايجابية، وذلك فيما يتعلق بادراة الأفراد والتعامل معهم وفقاً للاساليب الحديثة في كسب ثقة الأفراد وزيادة عطائهم وتأكيد انتمائهم للمؤسسات التي يعملون بها، وذلك تطبيقاً للمبدأ القائل « ان الأفراد يحققون أهدافهم من خلال تحقيق أهداف المؤسسات التي ينتمون إليها». ومن هذا المنطلق نجد رغبة أكيدة لدى المؤسسات الصناعية والانتاجية للاتصال الدائم بالجامعات والمعاهد العلمية لعقد دورات خاصة لفئة معينة من منسوبيها، لتزويدهم بما هو جديد في مجالات أعمالهم أو تعريفهم ببعض الأساليب التقنية الجديدة التي أصبح استعمالها في المصانع والمؤسسات الانتاجية أمراً أساسياً كالحواسيب الشخصية مثلاً، وهذه الدورات التخصصية قد تكون من انجح برامج التعليم المستمر، لأنها تخضع لاشراف وتقويم دقيقين من جانب المؤسسات وكذلك اشراف الجهة المقدمة لهذه الدورات أملاً في تحقيق أهدافها وفقاً لمتطلبات المؤسسات الممولة لها.

التقويم :

أصبحت خدمة المجتمع في الوقت الحاضر وظيفة أساسية من وظائف الجامعة، وأخذت الجامعات تتنافس في تقديم هذه الخدمة في أفضل صورة ممكنة. ولعل من أهم مظاهر خدمة المجتمع التي تقوم بها الجامعات برامج التعليم المستمر التي تعد في عصرنا أسلوباً ناجحاً في نشر المعرفة بين صفوف المواطنين.

ومهما كانت الصعوبات التي تواجه هذه البرامج فان توقف الجامعات عن تقديمها أمر ليس مقبولاً من جانب المجتمع، لأنه ينظر إلى الجامعات على أنها المكان المثالي لتنوير وتطوير الأفراد ومساعدتهم على السمو بأنفسهم واشباع رغبة حب المعرفة لديهم. لذا فليس أمام الجامعات أي خيار سوى الاستمرار في تقديم هذه البرامج، ولكن يجب أن يسبق تقديمها تخطيط جيد ومعرفة لحاجة المواطنين والمؤسسات، وان تكون هذه البرامج نابعة من تقويم خاص لمشكلات ومتطلبات المجتمع، اضافة إلى ذلك يجب اتباع اسلوب دقيق في تقديم تلك البرامج لكي يتسنى للمجتمع الاستفادة منها دون اهدار للطاقات وتبذير للأموال. ■

تشكيل

شعر : شوقي بزيع ـ لبنان

غيمٌ وشبّـاكانِ من مطرٍ
وخمسُ أصابعٍ في الريحِ
وامرأةٌ وسهلُ
لا نَسْر يَأتي كي يذهِّب حزنها
مثلَ الضفيرةِ في المساءِ
ولا حمامٌ في فضاءِ نواحها الأبديِّ يعلو
في ثغرها يرتاحُ نيسانانِ من قُبَلٍ
وتنعسُ تحتَ جفنيها قبائلُ
من سيوفٍ لا تُسَلُّ
مرفوعةٌ فوق الرماحِ كبيرقٍ
ومضاءةٌ بجنونها كتميمةٍ شعثاءَ
في عنف الجبالِ
وما لها في الريحِ شكلُ
يبكي شمالُ جمالها قمرانِ من ظمأ الجنوبِ
ويهرقُ الليمونُ صفرتهُ
على دمها المحنَّى بالأهلَّةِ
ثم يشطرها إلى فرسينِ حقلُ
غيمٌ وشبَّاكان وامرأةٌ تمدُّ رموشها
قمحا على الصحراءِ .. والصحراءُ كحلُ
لم يبقَ من صفصـافها الا القليلُ
ومن مفاتنها سوى ليلين في أهدابها
يتذابحان على غرابٍ
فوق برِّ الشامِ
يمعنُ في السوادِ ويضمحلُّ
يرعى منازلها البعيدةَ سربُ أجراسٍ
تنوحَ على سويداء الرحيلِ
وينحني لغيومها البيضاء سروٌ غامضٌ
ويضيءُ فلُّ
هي ليست امرأةٌ تماماً
بل غمامٌ راقدٌ بنخيلهِ في هيئة امرأةٍ
تكرِّر وجهها شمسٌ وظلُّ
يا سهلَ حوران المطرَّز بالحرائقِ
والثريات الصغيرةِ
لي وراءَ جبالكَ السوداءِ
مرآةٌ وأقمارٌ تهلُّ
لو كان لي يا سهلَ حورانَ اتساعكَ
لاتَّكأتُ على حنيني
وانتظرتُ على شبابيكِ النساءِ
لعلَّ نافذةً على قلبي تدلُّ



انتوني بيرجس:

الكتابة تطلّع دائم إلى الأفضل

بقلم : د. زياد الحكيم - بريطانيا

كتب بيرجس الكثير في الرواية والشعر والنقد واللغة والموسيقا حتى بلغ عدد مؤلفاته ما يربو على ستين مجلدا . وكان يقول ان هناك سببين كانا دائما يدفعانه إلى الكتابة : الحاجة إلى المال والخوف من الموت المفاجيء قبل ان يتم ما في رأسه من أفكار هو حريص على ان ينشرها بين الناس .

كان كثير الانتاج لأنه ، على حد تعبيره ، كان يقضي امام آلته الكاتبة وقتا اطول مما كان يفعله غيره من الكتاب ، وهذا الانتاج الكثير دفع بعض النقاد إلى اعتباره كاتبا خفيفا يكتب لتسلية نفسه وقرائه . وكتبه مسلية بالفعل ، وهي تقدم للقاريء مشاهد جميلة ، وان كانت مفككة .

ولئن قضى بيرجس سنوات طويلة خارج بريطانيا فإنه فعل ذلك احتجاجا على موقف البريطانيين من كتاباته، فقد كان يعتقد انهم تجاهلوا مواهبه ولم تعط كتبه ورواياته الاهتمام التي هي جديرة به بالقياس إلى الاهتمام الذي حظيت به في مختلف دول العالم . والواقع ان النقاد الانكليز دأبوا على تصنيفه في هذه الفئة أو تلك ثم مطالبته بالمزيد واعتباره مقلا من انواع كثيرة . وفات هؤلاء النقاد الإشارة إلى أن موهبته تتسم بالتنوع الخصب، وان هذا هو السبب وراء اندفاعه للكتابة في كل مجال، سواء كانت النتيجة جيدة أم رديئة . ان ما كان بيرجس يمتاز به في الحقيقة هو حبه للكلمة، وكان يترك للقراء ان يحكموا على ما يقوله بأنفسهم .

صحيح انه كان يتخذ الكتابة مهنة مثل سائر المهن، وصحيح انه كان ينفي عن الكتابة تلك الهالة التي يحرص معظم الكتاب على اضفائها عليها، الا ان كتاباته غنية من النواحي الفكرية والفنية والاخلاقية ، واثر جيمس جويس واضح فيها .

وبيرجس كاتب شعبي ، ولكنه في الوقت نفسه واحد من اهم الكتاب التجريبيين في انكلترة في النصف الثاني من هذا القرن، ومع انه كان يتهم بالعجرفة الا انه يقول في كتابه «ويلسون الصغير» ١٩٨٧م، وهو كتاب

اعترافات ومذكرات : قيل لي ان اسلوبي في الكتابة رديء ، وأنا لا أجادل في ذلك، فشكسبير نفسه كان يحسد بعض الكتاب الآخرين . وعندما اسمع صحفيا مثل مالكولم مغريدج يحمد الله لأنه اتقن الكتابة اشعر بكثير من الغثيان . لا يجوز لأحد ان يقول ذلك . فاتقان الكتابة شيء لا يمكن بلوغه ، ويظل الكاتب تلميذا في مدرسة الكتابة طول حياته. ولا يمكن للكاتب ان يتقاعد من المعركة . انه يبلغ اجله وهو يصارع .

ولد انتوني بيرجس في الخامس والعشرين من شباط - فبراير من عام ١٩١٧م في مانشستر ببريطانيا، واطلق عليه ابواه اسم جون بيرجس ويلسون، وكان يسمى جاك ايضا، وكان يحب ان يقول ان نسبه يعود إلى جون ويلسون الشهير من القرن السادس عشر أو إلى جاك ويلسون المسجل اسمه في أول كتاب مطبوع لشكسبير كممثل في مسرحية «جعجعة بلا طحن» .

كان ابوه محاسبا وعازفا على البيانو في اوقات الفراغ، وعندما كان كاتبنا رضيعا توفيت امه واخته بوباء الانفلونزا، فما لبث ابوه ان تزوج مرة أخرى .

وتلقى بيرجس تعليمه في كلية زافاريان، حيث نظم الشعر وقام بتحرير مجلة مدرسية ، ولكن ولعه الأول كان بالموسيقا، فالف سيمفونيته الأولى عندما كان في السادسة عشرة من عمره. ثم التحق بجامعة مانشستر ، وكان يرغب في دراسة الموسيقا ، ولكن وجد نفسه يدرس الأدب الانكليزي . وتوطدت علاقاته بزميلاته في الكلية وتزوج من احداهن وكان اسمها لويلا اشروود جونز عام ١٩٤٢م، وكان زواجا غير سعيد ولكنه دام حتى وفاة الزوجة عام ١٩٦٨م، واوحى له الزواج بكثير من الافكار، ورافقته زوجته في كثير من الاسفار .

عمل في التدريس الثانوي والجامعي ، وعمل في وزارة التربية مسؤولا عن تنظيم دورات دراسية لافراد القوات المسلحة، في ذلك الوقت كتب روايته «منظر من سطح القلعة» استوحى احداثها من خبراته في جبل طارق لكن الرواية لم تنشر الا في عام ١٩٦٥م، بعد ان ذاع صيته ككاتب . وسافر للتدريس في الملايو، واقام صداقات مع اهل البلاد، واخذ يتعلم لغاتهم ، واستفاد من خبراته هناك في كتابة أول رواياته المنشورة : « وقت للنمر » و «عدو في البطانية» و «الاسرة في الشرق»، ونشرت هذه الروايات ما بين عامي ١٩٥٦ و ١٩٥٩م ، ونشرت في ثلاثية عام ١٩٧٢م .

ومرض كاتبنا ، وشخص طبيب محلي حالته بورم في الدماغ وابلغه انه لن يعيش اكثر من اثني عشر شهرا. فعاد إلى بريطانيا وقرر ان يكتب فيما تبقى له من وقت ليترك لارملته ما يكفيها من مال ، وكتب خلال هذه الفترة ست روايات، ثم وجد الأطباء انه لا يوجد في دماغه ورم . ومن بين الكتب التي الفها في هذا السباق مع الزمن بعض من افضل كتبه ، منها « البرتقالة الآلية » .

ثم سافر إلى الولايات المتحدة بدعوة من هوليوود للمشاركة في كتابة نص الفيلم الذي يقتبس كتابه «لاشيء مثل الشمس»، وذاع صيته في امريكا نتيجة هذه التجربة، وقضى فيها وقتا طويلا يلقي محاضرات في جامعاتها، وعزفت الاوركسترا الامريكية سيمفونيته الثالثة .

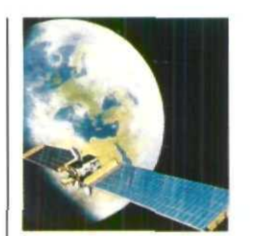
وفي رحلة قام بها إلى ايطاليا في اثناء مرض زوجته تعرف إلى فتاة ايطالية اسمها ليليانا، وافترقا دون ان يتوقعا اللقاء مرة اخرى، ولكن التقيا من جديد وتزوجا زواجا دام حتى وفاته في الخامس والعشرين من تشرين ثاني - نوفمبر ١٩٩٣م .

كان من عادته طباعة كتبه على الآلة الكاتبة مباشرة، وكان ينهي الصفحة الواحدة ويراجعها ويطبعها من جديد، ثم يضعها جانبا إذا شعر بالرضى عنها، ثم يمضي إلى الصفحة التي تليها، وهكذا. ولم يكن يراجع الكتاب ككل، ولم يكن يراجع كل فصل على حدة .

كان بيرجس مدركا للدور الذي قام به في تطوير الرواية الانكليزية ، فقد كان يعتقد ان الرواية هي الشكل الادبي الوحيد الذي استطاع ان يصمد في وجه الزمن، وكتب يقول : اني فخور بأني شاركت في استمرارية هذا الشكل الادبي وتطويره ، والحق انه واحد من ألمع الروائيين الذين انجبتهم انكلترة في النصف الثاني من القرن العشرين ■

المراجع

1. Anthony Burgess's Books, Including long day wane, You've had your time & Earthly Powers, all published by Penguin.
2. Malcolm Bradbury, "Anthony Burgess: A passion for words," "Independent on Sunday" 26/11/1993.



إعـادة تدوير النفايـات

بقلم المهندس : محمد غياث الاشرف
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ـ الظهران

ادى تزايد اعداد البشر وارتفاع مستوى المعيشة والتقدم الزراعي والصناعي الى زيادة كبيرة في كمية النفايات وبالتالي زيادة التلوث البيئي للمحيط الحيوي الذي نعيش فيه من هواء وتربة وماء، وترافق هذا التلوث مع تزايد الطلب على المواد الاولية الطبيعية لتلبية رغبات النشاطات الصناعية والاستهلاكية وبالتالي تزايدت الضغوط على البيئة، وتنامى استنزاف الموارد الطبيعية لأغلب مناطق العالم. فكلما زاد دخل الفرد زادت متطلبات رفاهيته وتزايدت طلباته الاستهلاكية وتزايدت معها نفاياته اليومية. فالمواد الخام التي تدخل في الدورة الاقتصادية والانتاجية تخرج من الطرف الاخر كنفايات.

إن تزايد النفايات في قطاع السلع الاستهلاكية والتصنيع، ادّى الى حدوث زيادات في كمية القمامة والى تغيرات في خصائصها ومحتواها. ويشكل الورق والكرتون أكبر مكونات القمامة في الدول الصناعية حيث تصل نسبة وزنهما ١٥ - ٤٠٪ كما ان هنالك انواع اخرى من القمامة تتزايد بسرعة كبيرة كالألمنيوم والبلاستيك اذ يعد البلاستيك اكثر محتويات القمامة تزايدا. وتصل نسبة وزنه حوالي ٩٪ وحجمه ٢٠٪ من النفايات الامريكية. كما تحتوي النفايات مواد وعناصر خطرة على الصحة العامة، كالرصاص والزئبق وثاني اكسيد المنغنيز والكادميوم والمركبات والمذيبات العضوية، وهي مواد ذات آثار صحية سلبية تشكل خطرا على البشر.

والنفايات هي كل المواد الناتجة عن الفعاليات والنشاطات البشرية، التي تعمل على الاضرار بالانسان والكائنات الحية بصورة مباشرة او غير مباشرة على المدى القريب او البعيد. وتتفاوت كمية ونوعية النفايات من بلد الى آخر، حسب الحالة الاقتصادية والمستوى السلوكي والاجتماعي والثقافي للسكان، فالفرد الامريكي يولّد ٦٦٠ كيلو غراما من النفايات سنويا وهذا ضعف ما يولده الفرد في اوربا واليابان.

وتزداد الهوة ما بين الدول النامية والمتقدمة وما بين الدول الغنية والفقيرة، فالفرد من سكان مدينة نيويورك يلقي من النفايات اكثر من ثلاثة اضعاف الفرد في مانيلا وبومباي. وفي المملكة العربية السعودية أجريت دراسة في المنطقة الشرقية لثلاث مدن هي الخبر والدمام والظهران عام ١٩٨٥م فكان معدل ما يولد الشخص من النفايات وسطيا ما بين ٥ر١ - ٢ كيلو غراما يوميا ويوضح الجدول التالي محتوي النفايات:

النسبة المئوية لنوعية النفايات

المدينة	ورق	زجاج	معادن	بلاستيك	طعام	خشب	مواد اخرى
الدمام	١٤,٠٠	٤,٩٢	٦,٤٦	٧,٣١	٦١,٢٨	١,٠٣	٤,٦٣
الخبر	١٦,٤٣	٧,٠٧	٦,٧١	٩,٨٦	٥٦,٧٩	١,٠٠	٢,١٤
الظهران	٢٤,٨٦	١٠,٤٣	٩,٠٠	١٨,١٤	٢٦,٠٠	٠,٤٣	١١,١٤

وتردم النفايات في اماكن خاصة تعرف باسم مقالب أو مرادم او مدافن النفايات وهي عبارة عن حفر بالارض توضع فيها النفايات بشكل طبقات ثم تضغط وتهرس ثم تغطى بطبقة من التراب ثم طبقة اخرى من النفايات وهكذا دواليك، وفي بعض الدول المتقدمة والدول الغنية يتم انشاء الحفر بطريقة فنية ويتم تبطينها بمواد خاصة للحد من ترسب الرشوحات الى طبقات المياه الجوفية وكذلك جمع الغازات الناتجة عن عملية تخمر النفايات، وهنالك دول تحرق نفاياتها لخفض حجمها، وهذه الطريقة تخفض من حجم النفايات بمقدار ٧٠٪ - ٩٠٪ حسب محتواها ثم يتم دفنها بعد ذلك.

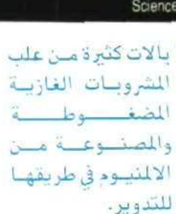
ويصدر من مدافن القمامة غاز الميثان وهو غاز يساعد على ارتفاع الحرارة وما يترتب على ذلك من تغيرات مناخية وبيئية، وهو غاز لديه قدرة تبلغ ٢١ ضعف قدرة غاز ثاني اكسيد الكربون على حجز الحرارة، ويعد غاز ثاني اكسيد الكربون المساهم الرئيس لظاهرة الاحتباس الحراري العالمي. وغاز الميثان الناتج عن تخمير المادة العضوية الموجودة بالنفايات يمكن الحصول عليه من مرادم النفايات وتجميعه بطريقة فنية لاستخدامه كمصدر لتوليد الطاقة بدلا من طرحه بالجو.

وقد لجأت العديد من الدول الى اتباع اسلوب اعادة التدوير كجزء من عملية ادارة النفايات، فاليابان مثلا تحرق ٤٠٪ من النفايات وتعيد تدوير ٤٠٪ وتدفن الباقي. واتبعت دول عديدة ما يعرف بتسلسل ادارة النفايات وهي ادارة تعتمد على الاولويات التالية:

* خفض النفايات من المنبع، اي تجنب توليد الكثير من النفايات بالأساس، واعادة الاستعمال المباشر للنواتج، واعادة استخدام النفايات، والحرق مع استرجاع الطاقة الناتجة عن احراق النفايات، ثم اللجوء الى مدافن النفايات كملاذ اخير. ولكن للاسف فان تركيز اغلب الحكومات ينصب على التخلص من النفايات بدلا من خفض كمياتها من المنبع اساسا، واعادة الاستعمال والتدوير وهذان بديلان أكثر جاذبية للتقليل من كمية وحجم النفايات الملقاة بالمرادم يومياً حيث يقللان من الاضرار البيئية الأكثر ضخامة التي تنتج من استخراج وتصنيع المواد الخام وما تتطلبه هذه العمليات من توليد للطاقة واستنزاف للموارد الطبيعية وزيادة الضغوط على البيئة ومواردها، لذا لابد من اتباع قواعد ادارة النفايات بهدف خفض حجمها واعادة الاستفادة منها بالتدوير.

* تغير المنتوجات وعادات المستهلكين، إذْ ان الخفض من المنبع يعني تخفيض النفايات باستعمال مواد أقل من




بالات كثيرة من علب المشروبات الغازية المضغوطة والمصنوعة من الالمنيوم في طريقها للتدوير.

بداية انتاج السلعة تنتج اقل كمية من النفايات، وانتاج سلع تدوم لفترة أطول وتكون أكثر متانة وأقل تغليفاً، فالعديد من السلع يشكل التغليف ٣٠٪ من قيمة السلعة، وتزداد هذه التكلفة عند التصدير خارج الدول المصنعة، وفي نهاية الأمر يدفع المستهلك فاتورة التغليف ومعالجة النفايات، وتشكل مواد التغليف ٣٢٪ من حجم النفايات بالولايات المتحدة الأمريكية و٢١٪ من حجم نفايات هولندا و٣٣٪ من حجم نفايات المنازل في المانيا. لذلك فإنّ خفض كمية مواد التغليف والابتعاد عن استعمال الأوعية لمرة واحدة يسهمان بدرجة كبيرة في الحد من تفاقم مشكلة النفايات. وقد حظرت العديد من الدول الأوروبية استخدام الأوعية والقوارير التي تستخدم لمرة واحدة والزمت الشركات باتباع اسلوب اعادة التعبئة واعادة الدوران لعبوات منتوجاتها.

اعادة تدوير النفايات للحفاظ على البيئة:

ان مفهوم اعادة الدوران احدث مؤشر للمساهمة في الحفاظ على البيئة، وهذا المفهوم لايستطيع وحده التكفل

بكل النفايات، كما ان اعادة التدوير أو الاستخدام للنفايات ليست أفضل خيار ممكن لادارة النفايات، ولكن تضامن وتكافل جهود الخفض من المنبع واعادة الاستعمال المباشر واعادة الدوران يمكن ان يؤدي إلى خفض الحاجة إلى المزيد من المرادم لدفن النفايات والقمامة لأدنى حد ممكن، وأكثر من نصف ما يوجد بالنفايات يمكن ان يعاد استغلاله على نحو مربح.



رافعة تلتقط نفايات من المعادن لاعادة تصنيعها مرة أخرى، وتعتبر عملية اعادة استخدام المعادن من أقدم عمليات التدوير التي عرفتها البشرية.

ان كمية ونوعية النفايات تتفاوتان من بلد إلى آخر ومن وقت لآخر وما بين المستويات الاجتماعية للبلد الواحد والمفاهيم الاستهلاكية لكل مجتمع. ففي أوائل عصر الرخاء الذي اعقب الحرب العالمية الثانية كتب محلل تجارة التجزئة الامريكي فيكتور ليبو يقول: «ان مجتمعنا المنتج انتاجاً هائلاً، يتطلب ان نجعل من الاستهلاك اسلوب حياتنا وان نحول الشراء واستعمال السلع إلى عادات، وأصبح التسويق نشاطاً ثقافياً، فنحن نحتاج إلى الأشياء لنستهلكها ونبليها ونستبدلها بمعدل يتزايد دائماً» وقد استجاب الكثيرون في أمريكا وتبعهم الكثيرون في أرجاء العالم إلى نداء السيد ليبو، وأصبح الاستهلاك دعامة اساسية ومركزية للحياة في العديد من الدول وأصبح الاستهلاك المفرط للعالم المحظوظ مالياً مشكلة بيئية لاتضاهيها الا مشكلة التضخم السكاني، وأصبح البشر يوصفون بأنهم مستهلكون لامواطنون.

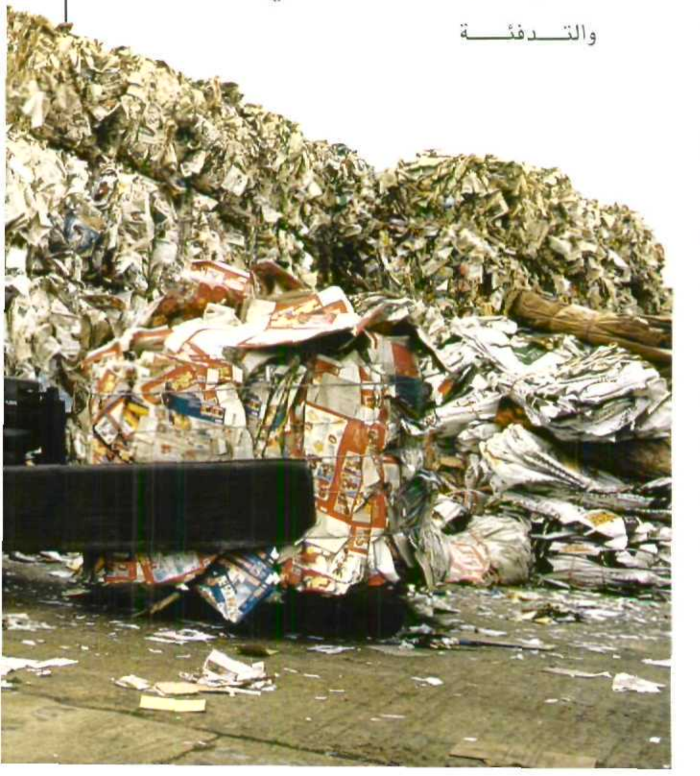
لقد تناسى البشر في نشوة الروح الاستهلاكية ان على كل جيل ان يوفي باحتياجاته دون ان يعرض للخطر تطلعات الأجيال القادمة للوفاء باحتياجاتها، وقد قال ارسطو «في الاخلاق يكمن القرار في نفاذ البصيرة» فعندما يفكر الناس في جعل ثرائهم المادي هو هدفهم الدائم، فإن ذلك سيؤدي إلى كارثة لأنهم بذلك لا يفكرون بحاجات الأجيال القادمة، «ان جشع البشرية لا حد له»، هذا ما كتبه الفيلسوف اليوناني ارسطو، وهو يصف الكيفية التي تظهر بها رغبة جديدة كلما تم ارضاء كل واحدة من رغباتنا.

ان كثيرا مما نستهلكه، يبدو، او يكون غير مطلوب اصلا، ففي هولندا يبلغ وزن التغليفات التي تلقى مع القمامة المنزلية ٨٠ كيلو غراماً للفرد سنويا، وتغطي الاعلانات اكثر من ٧٠٪ من مساحة صفحات الجرائد التي نقرأها، ويزداد عدد الصفحات دوما لتلبية طلبات الاعلانات الاستهلاكية، ويزاد معها استباحة الغابات وقطع الاشجار لتلبية احتياجات صناعة ورق الجرائد واستنزاف وتلويث المياه المستخدمة لصناعة الورق وتلوث البيئة بالكلور والكبريت المستخدم في صناعة الورق، والنفايات تقسم إلى:

* النفايات الصلبة: وهي النفايات التي تكون حالتها الفيزيائية صلبة وتشمل النفايات المنزلية والصناعية والزراعية والانشائية.

* النفايات السائلة: وهي النفايات التي تكون حالتها الفيزيائية سائلة وتشمل مخلفات الصرف الصحي والنفايات السائلة للمصانع.

* النفايات الغازية: وهي النفايات التي تكون حالتها الفيزيائية غازية وتشمل الغازات والأبخرة الناتجة عن النشاط الصناعي والتدفئة



المنزليــة وعوادم وسائل النقـل.

وتعد عملية جمع النفايات الصلبة بأنواعها أولى الخطوات في ادارة النفايات الصلبة للتخلص منها تليها عملية النقل التي تعد حلقـة الوصل بين الجمع والمعالجة، ويجب ان تتم عملية معالجة النفايات بطرق تضمن الحفاظ على البيئة وسلامتها .

ولعـل اشهـر واقـدم المواد التـي دخلـت دائرة اعــادة الاستخدام عنصر الحديد، ففـي الحرب العالمية الثانيـة كانت اعلانات الجرائد بالدول الصناعية المشاركة بالحرب تحث على فرز النفايات لاعادة استخدامها، لدعم المجهود الحربي .

إن العديــد مـن الصناعـات اليوم تقوم بـالتخلص مـن المـواد الناتجـة عن عمليات التصنيع وهـذه تحتوي على العديد من المواد التي يمكن الاستفادة منها في صناعات اخرى، ولهذا انشئت في العديد من الدول الصناعيــة أسـواق خاصة للمتاجرة بالنفايات، إذ تقوم المصانع بتزويد بنك المعلومات عن نوعية وكمية المواد المراد التخلص منها. وتقوم المصانع باعادة الاستفادة من المواد عنـدما تكون كلفة اعـادة الاستخدام لتلك المخلفـات يمكـن أن تحقـق اربـاحـا، ولكـن نظـرا لـلأهميـة الاستراتيجية مـن الناحية البيئيـة لعملية اعـادة الاستخدام للمخلفات، فـإن سن القـوانين والدعـم الحكومـي يلعبان دورا مهما في تطـوير الاتجاهـات نحــو نمـو وتطويــر صناعـة تدويــر النفـايات. وتعـد الضرائب بعـد التوعيـة الاعلاميـة البيئية خير وسيلـة للتوجـه نحـو الاهتمام بصنـاعة اعـادة الاستخدام للنفايات .

وقد أصبح التـدهور البيئي من الموضوعات الـرئيسة التي لها اولـويـة الطـرح في معظـم اللقاءات ، سيـاسيـة كـانـت أو اقتصاديـة على المستوى المحلي او الاقليمي او الـدولي، ويعزى هـذا غالبـا إلى موقـف الانسان مـن البيئة التـي يحيا فيهـا ، فالأزمة البيئيـة هي بالدرجـة الأولى ظاهرة سلوكيـة مرضية تستلزم وعيـا بأهمية البيئـة لحياة الانسان الحالي ولـلأجيال القادمة، انها مشكلة تتطلب وعيا بيئيـا وتوجها بالابتعاد عن الأنانية وتعديلا لسلوك الانسان وتجاوزاته واهتمامه بالتقييم البيئي لتصرفـاته، فالانسان لا يعطـي اية قيمة مـادية للضرر الذي تسببه تصرفاته للبيئة لأنه يعتقد ان الضرر قد لا يلحقه، ولأنه يعيش لزمنه فهو لا يفكر بالأجيال القادمة .



ويعتمد نجاح برنامج تقليل النفايات واعــادة استخـدام جزء منها على مـدى مشاركة ودعم الجماهــير لهذا الاتجاه وكذلـك تقبل المنتجين والمستهلكــين للمنتوجــات المصنعة مــن هذه المواد ومدى قدرة تقنية اعادة الاستخدام على ايجاد بضائع ذات مـواصفات عـالية من نـاحية الجودة والسـلامة، فالمستهلكـون هـم الذيـن بإمكانهـم تغيير الأمور وعليهم ان يدركـوا ذلك لضمان نجـاح بـرنامج اعــادة الـتـدويـر، والعديــد من المستهلكيــن اصبحوا يطلبون الكتب والصحف المطبوعة على ورق معــاد استخـدامـه، وهــذا الشعــور البيئي الايجابي تـم بناؤه لدى المستهلكين عن طـريق برنـامج التوعيـة البيئية وتفهم المواطنين لأهمية الحفـاظ على المحيط الحيوي، كما يعتمـد نجاح بـرنامـج اعادة التـدوير على تـوفر امدادات كـافية من النفـايات لاستمرارية عمـل مصانع تـدوير النفايات المعاد تدويرها.

وفي الولايـات المتحدة الامـريكية يبلـغ حجم سـوق تجارة النفايـات ٢٥ بليون دولار سنويـا ، وتتفاوت معدلات التـدوير للنفايــات مـا بين الدول فهـي حــوالي ١١٪ مـن حجــم التخلص من النفـايات بالولايـات المتحدة بينما تبلغ ٥٠٪ في اليابان . وفي الولايات المتحدة الامـريكية تبلغ كمية البلاستيك المعاد تـدويره بليـون طن سنـويا وتنتـج احدى شركـات اعادة تدويـر الورق ٧٥٠ الف طـن من الورق سنـويا ويبلــغ سعر طــن الـــورق المعاد تصنيفـه حـوالي ٢٠٪ مـن سعر طـن



أكوام من أوراق النفـايات المقرر اعادة تـدويرها في مصانع خاصة.

الــورق المصنع من لب الورق الجديد.

ان الاستثمار في صنـاعـة اعـادة تدويـر النفـايـات مثـالٌ لـلاستثمار مــن خـلال خطــط التنميــــة المستديمــــة والمتواصلــة، فمشكلة النفـايـات تتضخم يـومـا بعد يـوم لأن العديد من المنتـوجات اصبحت كلفة صيانتها مـرتفعة مقارنة بشراء سلعة جـديدة. اضافة إلى أن العـديد من السلـع، صارت تصنـع لـلاستخـدام لمرة واحـدة فقــط، كما ان تنـامـي نمـط الاستهلاك لمرة واحدة اصبحت له كلفته البيئية المرتفعة كذلك، فـانتاج ايـة سلعة يحتـاج إلى طاقـة لانتاجهـا، مصدرهـا على الأغلب من الوقود الاحفوري (فحـم - نفط - غاز) ويصاحب توليد الطاقة من الوقود الاحفوري العديد من الملوثات البيئية للهواء والتربـة والماء وانتاج غـاز ثاني اكسيـد الكربـون الذي يعتقد انه يساهم بظاهرة الاحتباس الحراري وما قد يصاحب هذا الظـاهرة من اثار بيئيـة سلبية على توزيع هطـول الامطار وارتفاع مستوى ميـاه البحر ، هذا فضلا على ان تـدوير واعادة استخـدام النفايـات يقلل مـن استهـلاك المياه الـلازمة اثنـاء العمليـات الانتاجيـة للسلعـة ، ففي حـالـة اعادة استخـدام الزجـاج يتم توفير ٤٤٪ من الاحتيـاجات المائية. وتقـل كمية المياه الناتجة بعد عمليـات التصنيع بنسبة ٧٥٪ ، يضاف إلى ذلـك ما يستهلـك مـن الموارد البيئيـة الطبيعية غير القـابلـة للتعـويض والأيلـة للنفاد بشكـل استهلاك استنـزافي، ان المدن العربية لديها احجام ضخمـة من النفايات تحتوي على الكثير مـن المواد الممكن اعـادة استخـدامهـا. واهم المواد التـي يعـاد تدويرها حاليا :

الــورق :

يشكل الـورق أكثر من ٣٦ بـالمائة من النفايـات الصلبة، وتقدر كميتـه في الولايات المتحـدة الامريكيـة بخمسين مليون طن سنـويا وفي دولة الامارات العـربية المتحدة تمكنت احدى الشركات العـاملـة في تجارة المخلفات الـورقية من تصـديـر ٤٠ الف طـن من النفـايات الـورقية خـلال عام ١٩٩٣م بقيمــة سبعة ملايين دولار امـريكي. وهكذا فإن اعـادة استخدام الورق توفر كمية كبيرة من الطاقة تصـل إلى ٨٠٪ من الطاقة اللازمة لصناعته من المواد الخام البكر.

الألمنيوم :

تعد اوعية الالمنيـوم المستخدمة في تعبئة المشروبـات احد اهم المواد التي يتم اعادة تدويرها مرات عدة . فعلب المشروبات الخفيفة يتـم القاؤها كنفـايات سنـويا، واعادة استخـدام هذه العلب يستهلـك فقط ٥٪ من الطـاقة الـلازمة لصنع طـن من الالمنيوم من خام البوكسيت المستخـرج من المناجم ناهيك عما يسببـه استخراج البـوكسيـت مـن تلوث للبيئـة واستنـزاف للموارد الطبيعية.

الزجــاج :

يشكـل الزجـاج ١٠٪ من النفـايـات بالـولايات المتحـدة الامريكيـة اي ما لا يقـل عن ١٣ مليـون طن سنـويا، فتـدوير الزجاج يستهلك ١٠٪ من كمية الطاقـة اللازمة لصناعته من المواد الخام، وفي اوربـا يعـــاد استخـدام ٩٠٪ مــن الأوعيـة الـزجاجيـة علما أن المشروبـات والأغذيـة المعبئـة بالأوعيـة الزجاجيـة اكثر سلامة صحيـا للانسان من المعبـأة في الأوعية المعدنيـة واقل كلفـة من النـاحية البيئيـة والاقتصاديـة ، لأن تصنيع الأوعية من المعادن اكثر كلفة من الزجاج .

البـلاستيـك :

تشكل المخلفـات البلاستيكيـة ١٨٪ من حجـم المخلفات الصلبة بـالعالم ومعظمهـا يأتي مـن مواد التعبئـة والتغليف، وهنـالك خطـط في كثير مـن الدول المتقـدمـة بـالعالم لاعـادة استخـدام ٨٠٪ مـن النفـايات البـلاستيكيـة وانتـاج المواد البلاستيكية يحتاج إلى كمية قليلة من الطـاقة مقارنة بصناعة الورق ، واعـادة استخدام البلاستيـك ذات اهمية خـاصة لأنها مواد بطيئة التفكك وتأخذ حجما في مـرادم النفايات اضافة إلى أن حرقها ينتج عنه غازات مضرة بالانسان والبيئة ويعتقد انها يمكن ان تسبب السرطان والتشوهات الخلقية .

ويعد البلاستيك الحراري من اكثـر انواع البلاستيك الذي يعاد استخـدامه دون معـالجة خاصة، لأنـه يمكن اعـادته إلى الحالة السـائلة واعادة استعماله لتصنيـع منتوجات جـديدة دون التأثير بشكـل كبير على خواصه الكيميـائية والفيزيـائية، وهو يضم انواع البلاستيـك المصنعة من البولي ايثيلين والبولي بـروبيلين والبولي ستـايريـن والبـولي فينل كلـورايد، ويشكـل البـلاستيــك الحراري ٩٠٪ مـن المخلفـات البـــلاستيكيـة، والحصول على مواد مشكلـة من البلاستيك المستعمـل بدلا من البلاستيـك البكر يوفر حـوالي ٨٥٪ من الطاقـة التي تصرف لانتاج البلاستيك البكر .

وفي دول الخليج العربية يستهلك حوالي ٤٠٠ الف طن سنويا من المنتوجات البلاستيكية، وتتزايد الكمية باستمرار ويضاف اليها ما يستورد. ويستخدم البلاستيك المعاد تدويره في صناعة الانابيب وقضبان والواح تستخدم بدلا من الالواح الخشبية في الاعمال الانشائية وصناديق نقل المنتوجات الصناعية والزراعية.

النحاس والحديد:

تحتوى النفايات - علب الصفيح المستخدمة في تعبئة المواد الغذائية - على القصدير وهو معدن غالي الثمن يستخلص من العلب، كما تحتوي النفايات ايضا على الحديد ونحاس الاسلاك الكهربائية، واعادة استخدام النحاس والحديد من اقدم عمليات اعادة التدوير التي عرفتها البشرية.

اطارات السيارات:

يتم رمي مايزيد من ١٨٠ مليون اطار سنويا بالولايات المتحدة وتشكل مدافن الاطارات مشكلة بيئية مزعجة، ويتم حاليا اعادة استخدام اسلاك الاطارات في الصناعات المعدنية، والمطاط في رصف الشوارع والملاعب وحماية جوانب الطرقات.

استرجاع غازات التبريد:

ومن المستجد في صناعة التدوير، اعادة استخدام غازات التبريد (الفريون) المستخدمة في اجهزة تكييف السيارات والمنازل والمنشآت التجارية والبرادات المنزلية، بسبب الاضرار التي تنتج عن طرح مركبات الكلوروفلوركربون (الفريون) بالجو وما ينتج عن عملية الطرح هذه من استنزاف لطبقة الاوزون التي تحمي سطح الارض من وصول الاشعة فوق البنفسجية الضارة.

استرجاع الزيوت المستخدمة في الالات:

يتم معالجة هذه الزيوت بطرق فنية، والزيت الناتج بعد المعالجة مماثل للزيوت الجديدة غير المستعملة وارتفاع تكلفة المعالجة يعوض عن طريق العون الحكومي وعدم فرض ضرائب على مبيعات مثل هذه الزيوت المسترجعة وعلى الشركات المنتجة لها، استرجاع الزيوت المستعملة خير لجميع افراد المجتمع من تلويثها للبيئة.

إن اعادة الاستخدام والتدوير للنفايات يساعد على اطالة عمر الموارد الطبيعية المحلية والعالمية، وحماية البيئة من التلوث.

- ان النفايات والمخلفات المنزلية والصناعية والتجارية تمثل ثروة اقتصادية يجب عدم هدرها واستغلالها بالشكل الامثل:

جرار يردم أكوام القمامة في أحد المواقع القريبة من مدينة نيويورك، وبدت في الصورة طيور النورس وهي تحوم باحثة عن غذاء لها.



- ان اعادة التدوير والاستخدام والاستفادة من النفايات «ظاهرة بيئية اخلاقية وظاهرة حضارية وتربوية وصحية» لذا يجب على الجهات الحكومية المختصة سن قوانين الزامية وعقوبات جزائية رادعة لتنظيم اعادة عملية الاستخدام وتكثيف حملاتها الاعلامية لتوعية المواطنين لخفض انتاج النفايات من المنبع والعمل على فرزها وتصنيفها في اماكن انتاجها قبل ارسالها الى الحاويات ومرادم النفايات.
- ان اعادة التدوير والاستخدام للنفايات طريق لأهداف اكثر اهمية بالحياة، انه اهتمام بالبيئة التي نعيش بها، وضمان حياة كريمة وسليمة بيئيا للاجيال القادمة.
- ان دفع المواطنين المشاركة في برامج اعادة الاستخدام للمواد وتهيئة الاسواق للمواد المسترجعة هما مفتاحا النجاح لبرنامج اعادة الاستغلال والتدوير للنفايات.
- ان الحفاظ على سلامة واستقرار البيئة والاهتمام الدائم بها هو الضمان لاستمرار الحياة على سطح كوكبنا، انه جهد شخصي وجماعي ودولي يمكننا جميعا المساهمة به.

انه عالم واحد .. علينا جميعا الحفاظ عليه ■

المراجع

- تقرير حالة العالم، معهد مراقبة العالم، واشنطن ١٩٩١م.
- وقائع ندوة استغلال النفايات، اتحاد مجالس البحث العلمي العربي ١٩٨٧م.
- دراسة النفايات الصلبة بالمنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية، د. طلعت بدر ١٩٨٥.
- الاستفادة من المخلفات البلاستيكية، مجلة التعاون الصناعي الخليجي، الدوحة ١٩٩٢م.

التجسس الأليكتروني وطرق مكافحته

بقلم الاستاذ / بيوض أحمد - الجزائر

التجسس الاليكتروني عالم غريب يثير الفضول خاصة لدى الشباب ذوي الرغبة الجامحة في معرفة أسراره. فالتجسس هو فن الحصول على معلومات ما بغرض الاطلاع او السطو عليها واستغلالها فيما بعد بدون إذن أو ترخيص مسبق من مالكها. والمغامرون في هذا المجال سواء كانوا أشخاصاً او هيئات حكومية أو خاصة يجدون في ذلك كسباً لايكلف كثيرا مقابل ما تدرّه تلك الأسرار والمعلومات المسروقة من أرباح على صاحبها او تؤمن له تفوقا في ميدان التقانة.

والواقع أن العقول الاليكترونية ترسل أمواجاً راديوية تنتشر الى مسافات تصل ما بين عشرين الى خمسين مترا وأحيانا أكثر. فاذا ما التقطت هذه الامواج وفكت رموزها فإن بإمكانها إفشاء العديد من الأسرار التي نظن أنها محمية. واذا اعتبرنا هذا النوع من الالتقاط تجسسا لايقلق الصناعيين، فان العسكريين في الدول المتقدمة منشغلون بهذه الظاهرة.



رسم تخيلي لطائرة التجسس «اورورا» ويعتقد انها سوف تحل محل الطائرة «بلاك بيرد - SR 71»، ومن المتوقع ان تصل سرعتها إلى ٩ ماخ.

ومن البديهي ان وجود هذه الامواج ليس سرا، فكل جهاز كهربائي او اليكتروني يصدر أمواجا لسبب معروف منذ القرن الماضي وهو أن كل تيار كهربائي يكون حوله مجالا مغناطيسيا. وتموج التيار ينتج عنه انتشار موجة كهرومغناطيسية ليست في الواقع سوى التموج الناجم عن المجال. وفي أي منظومة معلوماتية تبرز هذه الظاهرة باستمرار لأن أية عملية معلوماتية تهدف في نهاية الأمر الى نقل مجموعة من الاشارات الكهربائية عبر دوائر المنظومة الاليكترونية.

التجسس ميدان للتنصت:

حين تكتب «كلمة السر» من خلال استخدام لوحة الأزرار لعقل ما او عندما ندير برنامجا في عقل اليكتروني او نطبع نصا من خلال الآلة الطابعة فان مختلف اجهزة المنظومة الاليكترونية تعمل مثلما تعمل اية أجهزة ارسال راديو أخرى. فالامواج بما فيها تلك التي تتراوح ذبذبتها ما بين ٢ و ٥٠٠ ميغاهيرتز يمكن التقاطها من مسافات تتراوح ما بين عشرين وخمسين مترا ونادرا ما تصل الى عدة مئات من الامتار. ولاجراء عملية التقاط لهذه الامواج لابد من جهاز استقبال هوائي ذي مستوى عال وحساس للتأثر الكهرومغناطيسي. فالجاسوس اذن يتصرف على هذا الاساس بكل سرية، فهو ليس في حاجة لأن يتموقع قريبا جداً من المنظومات الاليكترونية او اجهزتها. ثم ان عملية تنصته لايمكن اكتشافها ولن يكون الحال كذلك اذا ما استعمل اجهزة ارسال كلاسيكية متصلة مباشرة بالمنظومة المستهدفة لعملية التجسس. فهذه الاجهزة الصغيرة الخاصة بالارسال يمكنها ان تنقل بالراديو المعلومات المسروقة،ويمكن اكتشاف الجاسوس عن طريق التعرف إلى ارسالاته باستعمالنا لأجهزة استقبال خاصة تسمى: أجهزة استقبال كناسة. ولكن في حالة كهذه، كيف يمكن التوصل الى معرفة جهاز استقبال لايبرز وجوده أي مؤشر؟

في الواقع، ان اي جهاز استقبال موضوع بجوار اي تجهيز معلوماتي يستقبل في آن واحد ارسالات كل عناصر التجهيز: طابعات، لوحات المفاتيح، وحدات مركزية.. الخ.

وقد اثبتت التجربة ان كل تجهيز له موجة بذبذبتها الخاصة بحيث يمكن للجاسوس فرز مختلف الاشارات واختيار تلك التي تهمه، فحتى لو تعلق الامر بجهازين متشابهين في الصنع والنوع، فانهما يختلفان في الذبذبة التي تميز كلا منهما إذ يكفي مثلا لوصلة اتصال ان تكون طويلة او قصيرة جدا لكي تعطينا فارقا بـ ١ الى ٢ ميغاهيرتز، الامر الذي يمكّن من الكشف عنه.

ولتجنب ذلك، يجب على صانعي العقول الاليكترونية ان يأخذوا الاحتياطات التي يأخذها صانعو أجهزة الارسال.

الشيء الذي لايتحقق احيانا مما يسمح للجاسوس ان يلتقط الامواج من مركز للاعلام الآلي وان يختار منها ما يهمه. وهو عموما يهتم بعناصر الدخول والخروج ولوحة المفاتيح بالاضافة الى الآلة الطابعة اكثر من اهتمامه بالوحدة المركزية للمنظومة المعلوماتية.

وتجدر الاشارة الى أن في الامكان نظريا البحث عن برنامج دوار في الوحدة المركزية لكن المهمة صعبة ومكلفة عمليا إذا اراد الجاسوس حقيقة معرفة ما يجرى داخل عقل اليكتروني مستعينا في ذلك بجهاز ارسال صغير مخفي في الآلة، الشيء الذي يعرضه للمساويء التي ذكرناها سابقا في وقت تستعد فيه جيدا العناصر المحيطة للتنصت الى الأمواج. وهي في الغالب اقل امتدادا من الوحدة المركزية بالاضافة الى ان من السهل جدا فك رموز «كلمة السر» المركّبة على لوحة الأزرار، أو رموز رسالة مطبوعة بالآله الطابعة ضمن العديد من البرامج الدوارة في العقل الاليكتروني، موضوع التجسس.

ان وجود جهاز استقبال لا يكفي لالتقاط وفك رموز كل رسائل شبكة العقول الاليكترونية اذ أن التنصت للامواج لايمكن استغلاله الا اذا كان الجاسوس يعرف مسبقا بأي تجهيز يتعلق الامر، وأي نوع من الرموز يستعمل؟ ومتى تمر المعلومة التي يريدها في المنظومة المعلوماتية؟.. الخ. وبعبارة اخرى له ثقافة معلوماتية كافية. لأن أية معلومة مسبقة عن التجهيز المعلوماتي يتم الاستماع اليها مهمةومعرفة الحصول على المعلومات يدخل ايضا في مهمة الجاسوس.

وتجدر الاشارة هنا الى ان هذا الشكل من التجسس عن طريق التنصت للامواج يخص أساساً الأسرار العسكرية.

التجسس مدنيا:

يستعمل الجاسوس الراغب في الحصول على معلومات صناعية طرقاً اقل تعقيدا وأقل تكلفة من الطرق الآنفة الذكر. فالطرق المعروفة في هذا المجال والجاري استعمالها، تعتمد ببساطة على سرقة قوائم او وثائق اخرى او حتى استجواب المشتغلين بصفة عادية في المنظومة الاليكترونية. وهؤلاء غالبا ما يعطون معلومات مهمة عن التجهيز او البرامج دون ان يفطنوا لذلك. وعندما لاتكفي هذه الطرق اللاتقنية، يصبح الاتصال عن طريق جهاز ارسال صغير، هو التقنية الاكثر استعمالا.

وعلى العموم، فان الصناعيين لايعطون أهمية كبرى لمثل هذه الموضوعات على عكس العسكريين الذين لايتركون شيئا للعفوية.

طرق مكافحة التجسس الاليكتروني:

الواقع ان هناك طريقة معتمدة لاتقاء التجسس الاليكتروني ترتكز على ترميز كل معلومة تدور في المنظومة المعلوماتية، أي بمعنى آخر جعلها في رمز سري لايمكن قراءته من طرف الجاسوس. لكن هذه الطريقة مكلفة وذات استعمال صعب. فالأسهل والانجع هو مكافحة الداء من جذوره بمعنى عزل امواج الراديو من الدخول والخروج وهذا ممكن، إما عن طريق تغطية القاعة التي توجد فيها العقول الاليكترونية بقفص حديدي سميك يمنع مرور أمواج الراديو سواء نحو الداخل أو الخارج اي بمعنى آخر ان القفص يحمي التجهيزات من التنصت الاليكتروني ومن التشويش الراديو - كهربائي المكون من ارسالات الراديو الخارجية التي يمكن ان تفسد عمل العقول الاليكترونية. هذا النوع من الحماية يلجأ اليه كل من العسكريين والصناعيين ليس للتحفظ على السر فحسب بل لأن الاجهزة الاليكترونية لاتعمل في بعض الاحيان اذا لم تحم من التشويش الخارجي.

وعندما يكون الهدف هو تجنب التجسس، يجب أخذ الحيطة لكي يقوم القفص الحديدي الواقي بحماية كل عناصر التجهيز بما فيها قنوات المياه لجهاز التبريد لانها تشكل دليل امواج يمكن للجاسوس ان يستعملها بصفة جيدة اذا ما تم نسيان جعلها صامتة.

وعلى العموم، فان عملية التسييج الحديدي الواقي للاجهزة المتعلقة بالمنظومات المعلوماتية تشكل بأي حال من الاحوال، استثماراً ناجعا. فاذا لم تستخدم، يفضل استعمال مطاريف ضخمة بأجهزة ثقيلة وفعالة ضد الامواج والاشعاعات.

بقيت الاشارة الى نقطة اخيرة خاصة بتعرض الأجهزة الاليكترونية للعطب على مستوى خطوط المعالجة التلفازية التي تربط مختلف مراكز شبكة العقول الاليكترونية. فهذه الخطوط لايمكن أن تكون دائما محمية خاصة اذا ما علمنا انها ترسل هي الأخرى امواجا يمكن التقاطها عن طريق ليفة موضوعة قريبا جدا من هذه الخطوط وموصّلة بجهاز استقبال. والتقنية هنا حساسة ومعقدة جدا بحيث لايمكن للجاسوس بسهولة وضع الليفة بطريقة تسمح بالحصول على تيار كاف للقيام بالعملية. بالاضافة الى ذلك فإن الخطوط الاخرى المجاورة والقريبة جدا من الخط المستهدف بالتجسس تتسبب في حدوث تشويش. وسواء تعلّق الامر بخطوط أو بمطاريف فان أهمية التنصت على الأمواج يجب ألا يبالغ فيها كثيراً، لان هناك العديد من أنواع التجسس الأليكتروني. ■

ومضات وشبهات في دراسات المستشرقين اللغوية

بقلم : د. غازي مختار طليمات ـ الامارات العربية المتحدة

يعد الصراع بين الشرق العربي والغرب الاوربي من اقدم الظواهر التاريخية التي شهدها العالم. وقد كان لهذا الصراع اشكال، بعضها عسكري جلي، وبعضها ثقافي خفي. ومن اشكاله الثقافية الاستشراق الذي ما فتىء يضرب شواطئنا بأمواج مختلفة المظاهر مؤتلفة الاغراض، واعتاها موجة الدراسات اللغوية.

حينما ادرك المستشرقون ان اللغة العربية هي الوعاء الحامل للثقافة العربية، والمؤثر الاول في اللغات والثقافات الاسلامية غير العربية، جعلوا دراستها السلاح الفعال في غزو العالمين العربي والاسلامي، لأن فهمها يتيح لهم ان يفهموا التراث العربي ثم التراث الاسلامي. فاذا خطر لهم ان يجادلونا في تراثنا جادلوا عن بصيرة.

مؤسسات المستشرقين لدراسة اللغة العربية:

من البلاهة ان يتصور الانسان العربي حركة الاستشراق اعمالا فردية نهض بها عشاق الشرق من الاوربيين. فالحق انه حركة منظمة وانه «بدأ اكثر ما يكون تنظيما واستمرارا بالفاتيكان»[١]. وبمباركة البابا قمة السلطة الدينية المسيحية أنشئت المؤسسات القادرة على العمل الدؤوب، وأهم هذه المؤسسات: كراسي تدريس العربية في الجامعات، والمكتبات، والمطابع والمجلات الشرقية.

فقد اقيم في كل جامعة كرسي دائم أو أكثر لتدريس الفصحى حينا واللهجات العامية حينا آخر. وربما كانت فرنسا أسرع الدول الى الصدْع بأمر البابوية القاضي بإنشاء مدارس لدراسة الثقافة العربية، اذْ «أنشأت منذ القرن الثاني عشر مدرسة (ريمس) بأمر البابا سلفستر الثاني.. وأمر البابا إكليمنتس الخامس في مجمع فينا ١٣١١ - ١٣١٢م بانشاء كراسي للعربية والعبرية والكلدانية في عواصم العلم من أوربا»[٢]. ففي المانيا وحدها أقيمت للعربية كراسٍ رسمية في اكثر من عشرين جامعة، وفي الولايات المتحدة اصبحت الجامعات المشتغلة بتدريسها ست عشرة جامعة، وأنشئت مثل هذه الكراسي في جامعات كمبردج وخاركوف وموسكو وبطرسبرج وغيرها.

وقد أقيمت في اوربا وامريكا مكتبات عربية، ضمت الكثير من ذخائر العرب. وحسبنا ان نشير الى بعضها، ففي مكتبة باريس الوطنية وحدها نحو سبعة آلاف مخطوط عربي، وفي روسيا تضم جامعة لينغراد خمسة آلاف مخطوط عربي، وفي مكتبة جامعة برنستون الامريكية مائة وتسعون الف مجلد عن الثقافة العربية. واذا عرفنا ان في المانيا سبعة آلاف مكتبة رسمية تشرف عليها البلديات، واحد عشر الف مكتبة تضمها الكنائس او تشرف عليها، وانها كلها غاصة بمخطوطاتنا أدركنا مبلغ قدرة المستشرقين على دراسة لغتنا لتحقيق مقاصدهم الظاهرة والباطنة.

وبالاضافة الى ذلك هناك المطابع والمجلات الشرقية، فقد بدأت ايطاليا بالطباعة العربية منذ سنة ١٥٣٠م، وتلتها فرنسا سنة ١٥٣٨م، ثم انتهجت النهج نفسه دول اوربية كثيرة وراحت المطابع تملأ الاسواق بالمجلات التي انشأها المستشرقون بالمئات. ففي فرنسا وحدها صدرت عشرات المجلات الاستشراقية، اشهرها المجلة الآسيوية التي اصدرها دي ساسي، وأربت منشوراتها بين عام ١٨٢٢ - ١٩٧٤م على (٣٣٠) مجلدا. وفي المانيا صدرت مجلات كثيرة منها مجلة الاسلام التي انشأها كارل هنريخ بيكر سنة ١٩٢٠م.

ان ما ذكرناه من مؤسسات ووسائل ليس الا نماذج بسيطة، لاتمثل الحقيقة كلها، اما الحقيقة نفسها فلا يستطيع باحث مهما يكن حظه من الاحصاء والاستقصاء ان يحيط بها لسبب معروف، وهو ان مانعرفه من جهود المستشرقين وبحوثهم اللغوية هو ما يريدون ان نعرفه من دراساتهم لا دراساتهم كلها.

وفي هذه الدراسات ومضات بارقات تشهد لهم بالفهم العميق والاستنباط الدقيق، وشبهات كالحات تلبس الحق بالباطل.

ومضات في دراسات المستشرقين:

ظهر بين المستشرقين معتدلون انصفوا العربية، وأقروا بانها لغة الثقافة الاسلامية كلها لا لغة الثقافة العربية وحدها. قال يوهان فك: «لقد برهن جبروت التراث العربي الخالد التالد على انه اقوي من كل محاولة يقصد بها الى زحزحة العربية الفصحي عن مقامها المسيطر»[٣]. وقال كراتشكوفسكي في حديثه عن اللغة العربية في القفقاس «كانت اللغة العربية هناك طوال عدة قرون هي اللغة الفصحى الوحيدة لا للعلم فحسب بل لعلاقات الاعمال ايضا. وبهذه اللغة تطور تراث له معالمه الخاصة، غذّى رجال الشريعة المحليين والمؤرخين والشعراء»[٤]. وأقر بروكلمان بأن القرآن الكريم نشر العربية في العالم نشرا واسعا قصرت عنه اللغات الاخرى، واعترف بتفوق العربية في صيغها وكثرة مفرداتها التي تفوق الحصر[٥].

واذا عدلنا عن النتائج الى المناهج، وجدنا المنصفين ينهجون في درس العربية نهجا علميا يتميز بالدقة والاستقصاء ومجانبة الدوافع العاطفية، فاستطاع اكثرهم - بسبب اتقانهم اللغات الاجنبية والسامية - عقد الموازنات العلمية، وقادتهم هذه الموازنات الى نتائج مهمة عجز عنها اكثر الدارسين العرب، لان العرب درسوا العربية في نطاق البيئة العربية، اما المستشرقون فقد درسوها في نطاق اللغات السامية، وسخروا لهذه الدراسة ما كشف عنه التنقيب من لغات الحضارات البائدة وتراثها. وتمخضت دراساتهم عن مؤلفات وموضوعات ابرزها صنع المعاجم، وتأليف الكتب التعليمية، ودراسة الاصوات العربية، ودراسة تطور اللغة العربية.

ولما كان المستشرقون حريصين على تدريس العربية بعد دراستها فقد صنفوا معجمات مختلفة بعضها تعليمي كمعجم الذخيرة العلمية للمستشرق الانكليزي جورج بادجر، وبعضها علمي مثل تكملة المعاجم العربية للمستشرق الهولندي رينهارت دوزي، وبعضها مقارن كمعجم الالفاظ البرتغالية المشتقة من اللغة العربية للبرتغالي جان دي صوصة. وبعضها متخصص بجانب واحد من حياة العرب كالمعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب للمستشرق الهولندي دوزي.

والى جانب المعجمات ألف المستشرقون كتبا كثيرة في نحو العربية وصرفها واملائها وعروضها، ومن اقدمها: المنهج السليم لتيسير تعليم اللغة العربية للاسباني بدرو دي الكالا، وقواعد اللغة العربية للنمساوى الاب يوهان. وقواعد العربية الفصحى للفرنسى غودفروا.

وشفع المستشرقون كتب النحو والصرف بكتب درسوا فيها اصوات اللغة العربية، ومن هذه الكتب مخارج الاصوات في اللهجات العربية للالماني فيشر، وضربوا الدراسة الصوتية العربية القديمة على محك الآلات الحديثة، فثبت لهم انها اوفت على الغاية في الدقة. واقروا بتأثيرها في دراساتهم الحديثة.

ولعل ابرز ما فعله المستشرقون المنصفون دراسة تطور اللغة العربية في اصواتها وألفاظها وتراكيبها واساليبها وابرز دراساتهم الشاملة هذه كتاب العربية للمستشرق الالماني يوهان فك، فهو متميز بعمق الدرس، ودقة العرض، وغزارة المصادر، وتكامل المناهج، وغلبة الصدق، وسعة الافق، وربطه التطور اللغوي بعوامل سياسية واجتماعية تصل اللغة بالحياة. غير انه - وهو الماني لايرجى منه التجرد الكامل للحق - لم يستطع ان يكون القاضي العدل في ما أفتى، فشابت أحكامه شبهات لم يبرأ منها أكثر المستشرقين.

شبهات في دراسات المستشرقين اللغوية :

ينبغي ألا ننظر الى دراسات المستشرقين كلها بعين الرضى، وان نعللها بالجهل او بسوء الفهم. ان حسن الظن فيهم او في المنحرفين منهم لايزيدهم الا تماديا في الباطل والكيد. فليس من المجدي ان نصارع الغزاة بالعواطف، وانما علينا ان نحاربهم بسلاحهم، ونكشف عن شبهاتهم، واهمها ارتباط كثير منهم بالدوائر الاستعمارية، وغمزاتهم الخفية المستورة بمناهج علمية، وحرصهم على دراسة اللهجات العامية لاحلالها محل الفصحى.

ارتباط فريق منهم بالدوائر الاستعمارية :

هناك أدلة كثيرة دامغة تثبت ارتباط المستشرقين بالدوائر الاستعمارية، «فقد كان المستشرق الكبير دي ساسي اعتبار من عام ١٨٠٥م يشغل منصب المستشار المقيم في وزارة الخارجية الفرنسية. وعندما غزا الفرنسيون الجزائر عام ١٨٣٠م كان دي ساسي هو الذي ترجم البيان الموجه

للجزائريين»[٦]. وانتزع المستشرق الانكليزي آبري – كما يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي – من اعماله في اول الحرب العالمية الثانية «ونقل الى قسم الرقابة على البريد التابع لوزارة الحرب في ليفربول.. وبقي طوال اربع سنوات يصدر بنفسه او مع غيره نشرات لانهاية لها *للدعاية البريطانية في الشرق الاوسط* باللغتين العربية والفارسية»[٧].

غمزات وشبهات:

وقر في اذهان كثير من المستشرقين – والقول للمستشرق رينان – ان العربية لغة شعر وخطابة، وانها عاجزة عن تمثّل العلم والفلسفة. ولهذا فعلى القارىء العربي ان يكون حذراً حين يقرأ ما يكتب هؤلاء عن لغتنا.

وحسبنا أن ننظر في كتاب العربية ليوهان فك، وهو الكتاب الذي أطريناه، لنرى ان اعدل المستشرقين لايستطيع ان يكون منصفا للثقافة التي يعاديها. واذا تكلف النصف ردّه الى الاجحاف مستشرق آخر. فسر يوهان فك نطق الاعاجم في العصر الاسلامي للعربية بلا إعراب بأن حركات الاعراب صعبة، وبأنهم لم يتعودوها في لغاتهم فأغفلوها، فقال شبيتلر في الرد عليه: «وأسهل من هذا تفسير هذه الظاهر ة بسماع تلك الشعوب للعربية في صورة غير معربة»[٨]. لقد اراد شبيتلر ان ينكر على العربية شرف الاعراب الذي اعترف به يوهان فك، ويجعلها كالعبرية والسريانية الساكنتي أواخر الكلمات ويهبط بها الى مستوى لغتي اليهود والنصارى غير المعربتين، ودعواه باطلة فالقرآن معرب وما زال حتى اليوم يُقرأ معربا ولا يستطيع أحد تجريده من الحركات. كما أن اسقاط حركة واحدة من بيت شعر كافية لكسر وزنه والاخلال بموسيقاه؟.

ومن همزات فك المشبوهة روايته خبرا خلاصته ان الطبيب جبريل بن بختيشوع زار مريضه الوزير الفضل بن سهل، فوجده يقرأ القرآن، فقال له بالفارسية: «تشوف بيني نامه إيزاد (كيف تجد كتاب الله؟) فأجابه: خش فتشون كليله فدمنه (حسن مثل كليلة ودمنه).» ظاهر الخبر استحسان القرآن الكريم، وحقيقته انه اقاصيص تشبه اساطير الاولين، وان الفارسية كانت شائعة بين علية القوم شيوع العربية. و«فك» يقول في كتابه: «من الطبيعي ان الزائر سأل مريضه بالفارسية[٩]. فانظر كيف يصوغ المستشرق الخبر صياغة ظنية ليستنبط منها حقيقة قطعية. ألم يكن في غنى عن الخبر المفترض؟ بلى، ولكنه لايستطيع ان يكون الا كما اراد له الاستشراق ان يكون، فلفق وزاد، وكاد بُغْيَه الافساد.

ومن هذه الاخبار «ان جارية لجعفر بن يحيى بن خالد البرمكي بكت سيدها القتيل في قصيدة نظمتها باللسان الشعبي تختم ابياتها بقولها: يا مواليا»[١٠]. ومع ان المؤلف شك في صحة الخبر فقد استنبط منه ان اللغة العامية اصبحت وسيلة للتعبير الادبي منذ عصر الرشيد. وفي هذا الخبر مجموعة من المكايد: اولاها إثارة الفرس على العرب، والثانية التعريض بالرشيد، والثالثة – وهي التي تعنينا هنا – التمهيد للاعتراف بالعامية *لغة ادبية*. ونترك الرد على (فك)، لئلا نتهم بالتعصب، لكاتب استشراقي آخر، وصف أمثال هذه الاخبار وما تضمنت من أدب شعبي بالعبث وقال: «لايستحق ان يسمى أدبا»[١١]، وهذا الكاتب هو شاخت وبوزورث، في كتابه «تراث الاسلام».

الدعوة الى العامية:

ان الشبهات التي اشرنا اليها بقع سود لطخت كتابا واحدا من كتب المنصفين، فما الشبهات التي يمكن ان تخرج بها قراءة متدبرة لواحد من كتب المجحفين؟ ثم لدراسات المستشرقين كلها؟

الحق ان السهام المسددة الى لغتنا اكثر واخطر من أن يحيط بها مقال، غير ان سهما قاتلا أطلقه يوهان فك يستحق منا *التوقي*، وهو *الدعوة الى العامية*. واذا كان المؤلف قد لمح الى دعوته في وسط الكتاب، وعزا دعوته الى من اسماهم (دعاة الاصلاح من المصريين) فقال: «ظهر أخيرا في ميدان اللغة اثر من آثار التأثر بالغرب، حيث علت أصوات في دوائر بعض دعاة الاصلاح في مصر تنحي بالنقد على العربية الفصيحة نفسها، وتتحدث عن صبغ التعليم اللغوي بصبغة جديدة، توائم قواعد التربية اللغوية الحديثة»[١٢].

ومن يعد النظر في كلامه يخرج منه بمخاطر كثيرة منها: ان الدعوة الى العامية ناجمة عن تأثير الغرب، وان الداعين اليها مصلحون في نظر «فك» سواء أكانوا من المستشرقين ام من تلامذتهم المصريين، وان الفصحى سبب التخلف، وان العامية مظهر من مظاهر التقدم، وان قواعد التربية الحديثة تتبنى التقدم بتبنيها العامية.

لا نبالغ اذا زعمنا ان الدعوة الى العامية، والى دراسة اللهجات العامية وتدريسها كانت الملتقى عند اكثر المستشرقين، وان كثيرا منهم شاركوا في دراستها واستنباط

قواعدها تمهيدا لجعل كل لهجة من اللهجات العامية لغة رسمية محلية، ثم لغة ادبية فما فحوى هذه الدعوة المشبوهة؟.

نتسامح كثيرا - ومقتل العرب المسلمين في تسامحهم - اذا عددنا موقف المستشرقين من لهجاتنا العامية شبهة تحتمل التأويل. فالمستشرقون - وهم محاربون مدربون - حرصوا على حماية انفسهم مما يقذفون به الاعداء، فكانوا دعاة توحيد في بلادهم، ودعاة تبديد في بلادنا «فالجمعية الوطنية الفرنسية عهدت عام ١٧٩٤م الى الاب غريغوار بان يضع تقريرا يبين فيه الوسائل الناجعة للقضاء على اللهجات الشعبية، ولتشجيع الفصحى في فرنسا[١٣]، هذا في بلادهم. اما في بلادنا فان كهنة الاستشراق الفرنسي قالوا: «من الخطر أن نترك كتلة ملتحمة من المغاربة تتكون ولغتها واحدة، وانظمتها واحدة، لابد ان نستغل لفائدتنا العبارة القديمة فرّق تسدْ»[١٤].

وحسبك ان ترسل بصرك ساعة واحدة في كتاب واحد ليروعك ما ترى من اجناد وامداد، ومن تصميم قديم على تحطيم الفصحى. اما الكتاب فهو «المستشرقون» لنجيب العقيقي، واما ما يروعك فأمور منها: قدم المعركة، وانضواء قادتها تحت ألوية الحملات العسكرية، واتساع ميادينها، واستعداؤها العاميات على الفصحى، وتجنيد الداعين الى العامية والى الأدب العامي في الفريق المعادي لوحدة العرب والمناصر لتمزيق المسلمين.

اما قدم المعركة فالدليل عليه انه منذ مطلع القرن السادس عشر نشر بدرو دي الكالا الاسباني معجما للهجة العربية في غرناطة، ثم اندفع المستشرقون يتنافسون في دراسة اللهجات العامية في الوطن العربي كله.

وأما انضواؤها تحت الالوية العسكرية فدليله ان دراسات كثيرة سارت في ركاب الحملات العسكرية، فقد رافق حملة نابليون على مصر وغزو الايطاليين ليبيا اهتمام واضح بدراسة اللهجات العامية، اذ الف مارسيل الفرنسي المشترك في حملة نابليون كنز المصاحبة، وهو معجم فرنسي عربي بالعامية المصرية، وضمنّه مفردات هذه اللهجة وتراكيبها وقواعدها، والف الايطالي سيزارو العربية المتكلّمة في طرابلس، في فترة الغزو الايطالي لليبيا.

ثم اتسع ميدان الغزو الاستشراقي للفصحى، وامتد من الفرات الى النيل، ومن خليج العرب الى بحر الظلمات. ولو قرأت ساعة في كتاب العقيقي وحده لأحصيت سبعين دراسة تناولت لهجات العراق وسورية ومصر والسودان وتونس والمغرب[١٥].

وبعد ان اتسع ميدان الصراع استعدى المستشرقون ابناء الفصحى على امهم، واتخذ هذا الاستعداء صورا كثيرة، منها اتهام الفصحى بانها سبب التخلف الفكري عند العرب. قال الاستاذ محمود شاكر في حديثة عن المستشرق الانكليزي ويلككس: «القى محاضرة، ونشرها في مجلة الازهر التي آلت اليه سنة ١٨٩٣م وزعم ان الذي عاق المصريين عن الاختراع هو كتابتهم بالفصحى، ودعا الى التأليف بالعامية»[١٦].

ودّ المستشرقون -وهم يستعدون العاميات على الفصحى- لو يثيرون البراكين الخامدة في الوطن العربي ليدمروه، ورغبوا في تشجيع لهجات توشك ان تنقرض، وبعث لغات ميتة انقرضت ودثرت. ان الفرنسيين - والقول للدكتور ج كامبغماير - «لايحبون نهضة اللغة العربية في مراكش، ولاسيما بين البربر[١٧]، بل يحبون، ويحب معهم صنائعهم ان تنهض البربرية والقبطية والسريانية والآرامية والآشورية من بين القبور والكهوف والحجارة المنقوشة على جدران المعابد الوثنية لتطرد الفصحى الى نجد والحجاز.

وبعد ان القى المستشرقون بذور العامية في الوطن العربي ألقوا على مريديهم تبعة تعهدها، «وتلامذة المستشرقين من ابناء الامة العربية قاموا بالمهمة الآن خير قيام، مما أربى على جهود الاجانب الغربيين[١٨]. ففي مصر جاهر سلامة موسى في كتابه (اليوم والغد) بكره الفصحى، وفي لبنان «استمرت الدعوة الى العامية في المؤسسات التعليمية العليا»[١٩]. وفي كثير من اقطار الوطن العربي ظهر دارسون أكبوا على دراسة اللهجات العامية، فتلقّى المستشرقون الدارسون، وعلقوا على صدورهم انفس الالقاب العلمية، وأوطؤوهم منابر الجامعات الاوربية ليدرسوا هذا اللغو الذي يراد ان يكون علما وادبا.

نخلص مما عرضنا الى ان دراسات المستشرقين للغتنا - على ما في بعضها من ومضات منصفة -محوطة بالشبهات مدخولة الدوافع والغايات لم يرد بها وجه الحق، وانما اريد بها الكيد للفصحى وتراثها، وسخرت لخدمة الحكومات التي خططت، والمنظمات التي أنفقت، والاهداف التي نرجو ألا تتحقق. ■

المراجع:

١ - المستشرقون لنجيب العقيقي ج ١ ص ١٠٤ طبعة دار المعارف ١٩٨٠م.

٢ - المتشرقون ١/ ١٣٩.

٣ - العربية ليوهان فك ص: ٢٢٤. ترجمة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي.

٤ - مع المخطوطات العربية للمستشرق الروسي أغناتي كراتشوفسكي، ص: ٣٠١ مطبعة التقدم ١٩٦٣م.

٥ - انظر فقه اللغات السامية تأليف كارل بروكلمان، ص: ٣٠ ترجمة د. رمضان عبد التواب الرياض ١٩٧٧م.

٦ - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. د. محمود زقزوق، ص: ٤٦ قطر ١٤٠٤هـ.

٧ - موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص: ٦ دار العلم للملايين بيروت.

٨ - العربية ص: ١٢.

٩ - العربية ص: ٩١-٩٢.

١٠ - العربية ص: ١٠٤.

١١ - تراث الاسلام تأليف شاخت وبوزورث: ج ٢ ص ١٧٢ ترجمة د. حسين مؤنس الكويت سلسلة عالم المعرفة.

١٢ - العربية ٢٤١.

١٣ - اللهجات العربية د. عبد الغفار هلال ص: ٣٨٨-٣٨٩ القاهرة ١٩٩٠م.

١٤ - الحركة الفكرية ضد الاسلام، د. عبد الفتاح دويدار، ص: ١٨٠ المركز العالي للتعليم الاسلامي ١٤٠٦هـ.

١٥ - انظر بحثنا المفصل في هذا الموضوع في ص: ١٨٩ العدد الخامس من مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية بدبي.

١٦ - أباطيل وأسمار للاستاذ محمود شاكر ص: ١٦٥-١٦٦ مطبعة المدني القاهرة ١٩٨٦م.

١٧ - الحركة الفكرية ضد الاسلام، ص: ١٨٠.

١٨ - الفصحى ونظرية الفكر العامي د. مرزوق بن صنيتان، ص: ٥٤ جامعة الملك سعود ١٩٨٦م.

١٩ - الصراع بين القديم والجديد في الادب العربي الحديث محمد الكتاني ج ٢ ص ٥٢٧ الدار البيضاء ١٩٨٢م.

« القافلة »
في ربوع سلطنة عمان

بقلم : عادل أحمد صادق ـ هيئة التحرير

عندما كنا صغاراً لم نكن نعرف عن عمان الا انها بلاد الليمون الأسود المسمى «الليمون العماني» وان شعبها في صراع ابدي مع البحر . وعندما تقدم بنا الزمن تعرفنا من خلال وسائل الاعلام المختلفة على الجوانب الجمالية والحياة اليومية لتلك السلطنة التي لم يردّها جبروت البحر عن الصراع من اجل البقاء . ها هي القافلة تأخذنا إلى السلطنة لنتعرف عن كثب على بعض اوجه الحياة هناك .



القلاع والعمران الحديث يعانقان البحر.



شجرة اللبان التي يكثر وجودها في عُمان.

تقع عمان في اقصى الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة العربية ، وتطل سواحلها على المحيط الهندي والخليج العربي على إمتداد ١٧٠٠ كيلومتر، وتشارك ايران في الاشراف على مضيق هرمز ذي الأهمية الاستراتيجية، ويبلغ عدد سكان سلطنة عمان حوالي مليون ونصف المليون نسمة ، يعمل اغلبهم في الزراعة والتجارة وصيد الاسماك .

التسمية :

عند بحثنا عن اصول تسمية عمان ، وجدنا انها جاءت من عمان بن قحطان بن هود عليه السلام ، وان أول من سكن عمان هم السومريون وهم اول من اخرج النحاس إلى العالم . وكانوا يسمون عمان بأرض « مجان » وذلك في الألف الرابع قبل الميلاد . وبعدهم سكنها الكلدانيون، ثم قوم عاد . ثم جاء عمان بن قحطان بن هود فصار ملكا عليها ، وحملت البلاد اسمه .

اما فيما يخص مسقط فهي تعني عند اهلها سقوط الرأس التي تعني مكان الميلاد . ويعتقد بعضهم انها مشتقة من اصطلاح بحري يعني «موضع سقوط المرساة» ومن ناحية تاريخية فإنه لا يوجد هناك ما يؤكد متى ظهرت مسقط إلى حيز الوجود بالضبط ، لكن يقال بأن الحميريين هم الذين اسسوها في فترة ما في الماضي .

الهجرات والناس :

يعود أول نشاط مارسه الانسان في هذه الأرض إلى نحو ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد . اما الهجرات اليمنية

فبدأت عقب انهيار سد مأرب، وكان اهمها هجرة قبيلة الأزد بقيادة مالك بن فهيم واقام فيها مملكة عربية قوية. ثم نزحت قبائل اخرى قحطانية ونزارية ووصل الاسلام إلى عمان في عهد بني الجلندي وهم فرع اخر من الأزد على يد مازن بن غضوبة. اما سكان عمان فحوالي ٨٥ في المئة منهم عرب مسلمون. ويقطن في الشمال والجنوب عمانيون لا يتحدثون العربية. ويسكن عمان ايضا اقليات من البلوش والهنود ومن شرق افريقيا.

ومن خلال تجوالنا في مختلف مناطق السلطنة لاحظنا انها اكثر اجزاء الجزيرة العربية اخضرارا حيث تنمو الاشجار على ارتفاع يبلغ ١٨٠٠ متر فوق سطح البحر وتشمل الورود والرمان واشجار الفاكهة والمحاصيل الرئيسة. لقد كانت عمان تعتمد اقتصاديا على الزراعة وصيد الأسماك الا انها عاشت في رحلة كساد اقتصادي مريع، ولم يكن التغيير ممكنا إلّا باكتشاف الزيت عام ١٩٦٤م.

اما خصوبة ارضها فقد كان سببها الاعتماد على المياه التي تتوافر بغزارة نسبيا، وقد امكن من خلال العمل الدؤوب والمهارة الهندسية ووفرة المياه زيادة الصادرات الطبيعية للبلاد. وتنتج المحاصيل الزراعية التقليدية بكثرة في الوقت الحاضر، كالتمور والليمون والقمح وقصب السكر والموز وجوز الهند والخضراوات على اختلاف انواعها.

وتنتشر بساتين النخيل النضرة في السلطنة ولا سيما في المنطقة التي تحيط بالمدينة التاريخية «نزوى»، ويجري تصدير كميات كبيرة من التمور المجففة إلى الهند والدول الاخرى، اما عدد اشجار النخيل فيناهز الثمانية ملايين نخلة. وتأتي المانجو «الهامبا»، في المرتبة الثانية من حيث الأهمية الاقتصادية بعد النخيل. وقد ادخلت زراعتها إلى عمان منذ حوالي مائة عام تقريبا، ويندرج الموز ضمن المنتوجات الزراعية ذات المردود الاقتصادي الجيد بالنسبة للمزارعين، اما اشجار النارجيل «جوز الهند» فتكاد زراعتها تكون مقصورة على المنطقة الجنوبية وفي مدينة صلالة بالذات وذلك لملائمة المناخ ووجود التربة الصالحة لنمو هذه الأشجار بالاضافة إلى توافر المصادر المائية.


مجلة أخبار شركتنا العمانية

صيد الأسماك واحدة من المهن التقليدية عند العمانيين.

وتعتبر مهنة صيد الأسماك من اقدم المهن التقليدية منذ مئات بل آلاف السنين. والسمك غذاء أساسي لسكان عمان إذ قلما تخلو مائدة عمانية منه. وتعيش الأسماك في مياه عمان بكميات هائلة وتحرص الدولة على تقديم المساعدات ايضا للصيادين للاستمرار في تأمين الكميات اللازمة من الأسماك للمواطنين وباسعار مقبولة. ومن اشهر انواع الأسماك التي تكثر في المياه العمانية الكنعد والهامور وسلطان ابراهيم والزبيدي والسيكل والحمراء والحمام. هذا إلى جانب كميات كبيرة من الروبيان وجراد البحر والأسماك الصغيرة التي تستخدم كعلف للدواجن، والبحر كذلك مصدر للأحجار الكريمة التي يتزين بها اهل عمان.

أرامكو السعودية

تلال صخرية في منطقة رأس مسندم

نقطة التحول الكبير :

ما من شك انه بعد اكتشاف النفط عام ١٩٦٤م في منطقة الخليج بدأت وتائر النمو تتغير، وجرى تصديره في عام ١٩٦٧م. اما الآن فيبلغ احتياطي عمان من الزيت ما يقارب اربعة بلايين ونصف البليون برميل، الأمر الذي اسهم في تطورها. فقد مهدت الشوارع واوجدت انظمة الطاقة الكهربائية والعيادات الطبية ومتحفا للتاريخ الطبيعي وفصولا دراسية لحملات محو الأمية للكبار.



قلعة جبرين التي يجري ترميمها.

وبهذا استطاعت ان تواكب المسيرة السريعة للتغيّر، كما انها حافظت في نفس الوقت على تراثها الشعبي والفني ومأثوراتها الحضارية.

القلاع :

من أوائل المعالم التي لفتت انظارنا لدى زيارتنا لعُمان، القلاع والحصون والأبراج التي تعد من ابرز اثارها المعمارية ومعالمها الاثرية. والقلاع الرئيسة عبارة عن مبان ضخمة شيدت على مدى السنين مثل قلعة «بهلا» و «الرستاق» أو على شكل قصور محصنة مثل «الحزم» و «جبرين» التي شيدت لتكون مقرا للحكام. وكنا قد قرأنا عن قلاع عمان ولكن رؤيتها كانت امرا مختلفا تماما، فلم نكن نملك غير الاندهاش.

واينما سرنا بحافلتنا الصغيرة كانت القلاع امامنا في كل قرية ومدينة تقريبا، وكأنها كانت تسير معنا من مكان لآخر. اما اكثر القلاع مناعة واكبرها حجما وتحصينا فهي قلعة «نزوى» وقد اقيمت على ارض منبسطة دون ان تكون هناك اية مزايا طبيعية حيث يرتفع برجها الدائري عشرين مترا ويبلغ قطره اربعين مترا. وشيد هذه القلعة الضخمة الامام اليعربي سلطان بن سيف الذي حكم السلطنة من ١٠٥٩ - ١٠٩٠هـ، واستغرق بناؤها ١٢ عاما. وقد كان يُظن ان القلاع والحصون في عمان قد بناها البرتغاليون خلال فترة وجودهم في عمان التي استمرت حوالي ١٥٠ عاما ولكن الحقيقة ان البرتغاليين شيدوا ابان وجودهم في السواحل العمانية ثلاث قلاع فقط. وتدل القلاع والحصون على معرفة العمانيين بفنون القتال ووسائله الهجومية والدفاعية.

وقد تم مؤخرا ترميم ٤٣ حصنا وقلعة، مثل قلعة «نخل» و«نزوى» و«بيت النعمان» في بركاء وحصن «بلاد صور» و«نجا مسندم» وغيرها. ويجري التخطيط لترميم قلاع وحصون اخرى. وقد روعي في عمليات الترميم المحافظة على الشكل والطابع الاصلي.

والمعروف عن العمانيين منذ اقدم العصور مهارتهم في فنون العمارة العسكرية التي ما زالت شواهدها ماثلة حتى اليوم في مئات القلاع والحصون والابراج القائمة بالمنطقتين الداخلية والساحلية على حد سواء.

وليست قلعة «بهلا» العظيمة واسوارها سوى مثال على ذلك، ويعود تاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد، ويمتد سورها مسافة اثني عشر كيلومترا. وتعد من ابرز الآثار في الجزيرة العربية.

وقد ارتبطت هذه القلعة بالعديد من الحضارات القديمة في بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس، واقيمت على عدة مراحل، واجريت لها توسعات في عصور مختلفة حتى اصبحت واحدة من اضخم القلاع العمانية. وكانت منظمة اليونسكو قد اظهرت اهتماما كبيرا بالقلعة واوفدت عدة بعثات للتعرف اليها وعلى السور الذي يحيط



بالمدينة وما زال اكثر من اثني عشر كيلومترا منه قائما حتى الآن برغم مرور قرابة ثلاثة آلاف عام عليه، وقد تقرر بالاجماع ضم القلعة إلى موسوعة التراث الانساني العالمي بجوار سور الصين العظيم واهرامات الجيزة في مصر وغيرهما من الانجازات الانسانية العالمية.

وقد صمدت قلاع عمان عبر العصور في وجه المد والريح والقنابل وعبث الانسان. وما تزال القلاع تنام على اصوات امواج البحر وتستيقظ على اشعة الشمس القمحية الدافئة، وتغريد العصافير والنوارس.

الحياة البحرية :

وخلال جولاتنا في سلطنة عمان كان لابد لنا من زيارة شواطئها وسواحلها الجميلة. فالسواحل متدرجة او شديدة الانحدار أو جروف تنحدر في البحر لاعماق سحيقة. ويوجد المرجان في عمان بكميات كبيرة في مياه مسندم ومسقط الساحليتين ويتميز عن غيره بكثافته ونمو شعابه بشكل كبير على طول سواحل السلطنة.

ويوجد في مسندم حيود بحرية ضخمة وقوية من المرجان الكبير الذي ينمو على هيئة قلاع تعلوه رؤوس بارزة مستدقة وبقع شاسعة من الشعاب الاخرى تغطيها مرجانيات اخرى كالمرجان القرنبيطي المسامي والورقي، ويشكل مرجان قرون الأيل «حرمل» ادغالا متشابكة شاسعة وبالأخص حول جزيرة «مغلب» في خور «الشعم» على الساحل الغربي، بينما يشكل المرجان الانبوبي اشجارا كبيرة في المياه الضحلة حيث يكون التيار شديد الجريان والمياه في معظم ارجاء السلطنة خضراء وتنمو فيها الطحالب البحرية بسرعة ليصل طول الواحد منها إلى نحو متر ونصف المتر أو مترين في اشهر قليلة.

وتتشكل الشعاب المرجانية الجميلة في بعض الخلجان الرئيسة وحول الجزر، كما تتوفر انواع معينة من المرجان والأسماك والطحالب البحرية ونجوم البحر وقنافذه. وهناك المرجان الذي يشبه حبوب الفاصوليا ويبدو في مظهره شبيها بشقائق النعمان البحرية والمرجان الشريطي القرنفلي من اجمل اللوحات التي ترسمها الطبيعة تحت المياه العمانية.

اما حطام السفن الغارقة فيشكل لوحات اخرى رسمتها الظروف القاسية التي ادت لغرق هذه السفن ويوفر نقاطا رئيسة لتجمعات الكائنات البحرية. فوجودها على القيعان الرملية الجدباء يجعلها بمثابة الواحات في الصحارى. كما يحوي الحطام ايضا مستعمرات من المرجان الصلب والارجواني والأصفر بالاضافة إلى البطلينوس والسرطانات والاسفنج ومجموعات اخرى من الكائنات البحرية الملونة الزاحفة والسابحة.

ولدى تحدثنا مع الصيادين الذين افنوا اعمارهم في مصارعة البحر، تعرفنا إلى بعض اوجه الحياة البحرية الطبيعية في سلطنة عمان، واولها الصفيلح وهو من الأطعمة الشهية المترفة بلحمه الأبيض ونسيجه

قلعة بوخه المطلّة على مضيق هرمز.


أرامكو السعودية


قلعة بهلا، إحدى قلاع عُمان التاريخية.

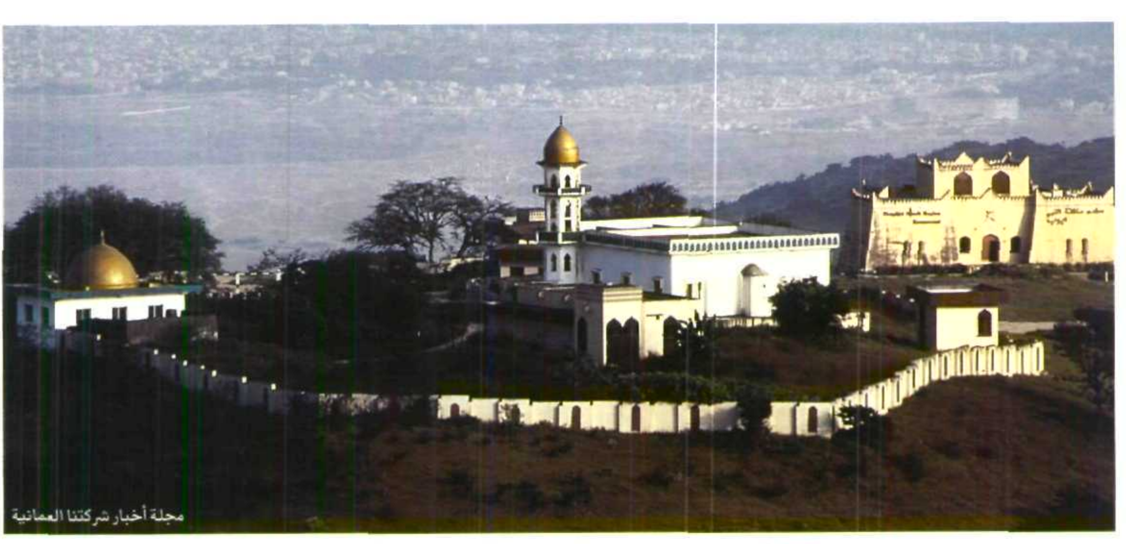



مجلة أخبار شركتنا العمانية

فتاة عُمانية بزيّها التقليدي وبحليّها الفضية.



النخل أحد ثروات عُمان الوطنية.



أحد المساجد في الجبال الخضراء المشرفة على مدينة صلاله.

الصلب المكتنز، وهو من اغلى المأكولات البحرية، منذ ان بدأ صيده في الخمسينات وقد وصل سعره إلى اعلى معدل له في عام ١٩٩١م، إذ بلغ سعر الكيلو جرام الواحد منه ٥٠ ريالا عمانيا.



مصفاة ميناء الفحل بعُمان.

وتتميز مياه عمان ايضا بعاريات الخياشيم، التي يقول احد المهتمين بشئون المحافظة على الحياة البحرية في عمان «من حسن حظ عاريات الخياشيم وهو صنف من الرخويات البحرية، ان ليس لاجسامها اصداف او اجزاء صلبة، فلو كانت كذلك لاستنفدت اعدادها منذ زمن طويل من قبل هواة جمع القواقع والاصداف الذين تجذبهم الوانها واشكالها المفرطة في الجمال».

ويشاهد في المياه العمانية، عدة انواع من عاريات الخياشيم ولكن هناك نوع منها يسمى «الراقص الاسباني» وهو من اجمل انواع عاريات الخياشيم وتشكل حركاته وتموجاته بالمعطف الأحمر الضارب إلى البرتقالي الفاتح في اثناء السباحة مشهدا مثيرا للاعجاب.

اوجه اخرى للحياة الطبيعية :

تتميز الحياة الطبيعية في عمان بأنها غنية من جميع جوانبها إذ تكاد تكون متكاملة في كل شيء تقريبا، وابرز ما يمكن الحديث عنه هو مطية الجن أو القنفذ : ويروي العمانيون نقلا عن بعض كتب الأدب العربي القديم قصة رجل عاش في القسطنطينية واصبح ثريا لأنه كان يملك القدرة على التنبؤ بالرياح وتحذير الأشخاص من احتمالات هبوبها الأمر الذي كان يفيد كثيرا الأشخاص الذين يتطلب عملهم معرفةإتجاهات الرياح واحتمالات وقوع العواصف. والسر هو ان هذا الرجل الذكي لاحظ ان القنافذ التي تعيش في حديقته تغير مداخل جحورها بحسب ما سوف تكون عليه اتجاه الرياح حتى تحمي نفسها.

ويحمل نوع القطط الموجود في عمان الاسم اللاتيني Panther Pardus Nimr وهو يعد اصغر الأنواع حجما ويطلق عليه العمانيون اسم «النمر» الذي يعبر في الواقع عن كلمة (Tiger). والاسم الصحيح هو فهد وان كان الكثيرون يخلطون بين المسميات. ومن ناحية التوزيع

الجغرافي فيقتصر وجود النمر في اقليم ظفار. ومن ناحية اخرى فإنه لم تجر حتى الآن دراسة عملية لتقدير عدد النمور التي ما تزال على قيد الحياة في عمان والثابت ان الموجود منها قليل وربما لا يتجاوز عشرات. وافتتح في عام ١٩٨٢م مركز لتوالد وتكاثر الثدييات المهددة بالانقراض وارسلت إليه بعض النمور التي اصطيدت في جبل سمحان عام ١٩٨٥م.

الحلي الفضية العمانية:

كانت لنا وقفات في اسواق عمان الشعبية واكثر ما لفت انظارنا، المصوغات الفضية، باشكالها الجميلة. والحقيقة ان العمانيين اتصلوا خلال تاريخهم البحري الطويل بحضارات العالم ونقلوا عن شعوبها مفاهيماً وأفكاراً جديدة وقد استوردوا الفضة وتعرفوا إلى تصاميم وأساليب صياغة الحلي من بلدان عديدة وبمرور العصور تطورت المهارات البدوية الحرفية لدى صاغة الفضة، واصبحت كل قطعة تعكس بوضوح جودة العمل وارتقاء مستواه ثم جاءت الحضارة الاسلامية لتضيف تصاميم ونقوشا اكثر وقطعا جديدة للحلي العمانية.

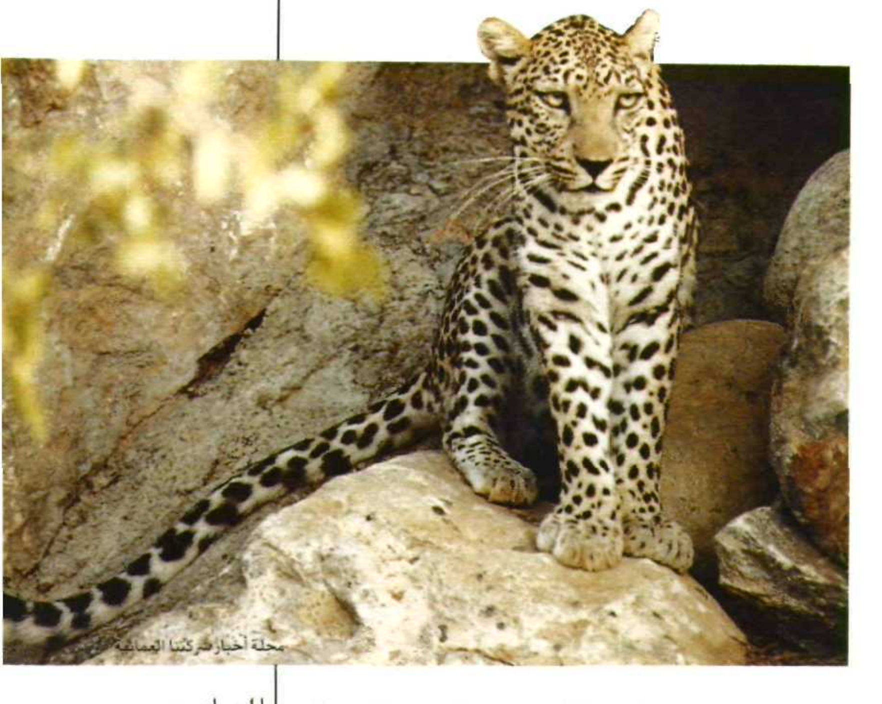
وتتنوع تصاميم العقود والاقراط واغطية الرأس والخواتم والأساور والخلاخيل طبقا للمنطقة التي نشأت فيها صناعة كل نوع من انواع الحلي. وحدثنا باعة وصاغة الذهب والفضة وافادونا أن في عمان نوعين من العقود المألوفة. احدهما مصنوع من قطع النقد والاقراط المدورة والخرز والآخر عبارة عن سلاسل خرز فضية



عُماني يزاول مهنة صناعة الفخار التقليدية.

تلبس النساء منها عادة في كل مرة ما بين اثنتين وست وهناك نوع يلبس بمفرده وهو يتكّون من حبات خرز مدورة واسطوانية كبيرة مشكوكة تتدلى منها الطواريف.

اما الأساور العمانية كما شرح لنا بائعو الفضة في عمان فتصنف إلى ثلاث فئات رئيسة: النوع الشوكي



النمر العُماني يجول ببصره بحثاً عن فريسة.

المزين بصف واحد إلى ثلاثة صفوف بارزة من الفضة المصمتة والأساور المزخرفة العريضة المصنوعة من الفضة المصمتة، ثم النوع الثالث وهو طوق اسطواني اجوف تلبسه النساء، وتصدر عنه خشخشة بسبب وجود حجارة صغيرة بداخله ويسميه البدو «عضد».

اما الخواتم الفضية العمانية فهي مزينة برسوم متنوعة منقوشة على الفضة نفسها او الحجارة الكريمة او زجاج معشق باللون الأحمر المفضل. ويقول اهل عمان انه جرت العادة على وضع خاتمين معا في الأصبع مع اختلافهما من ناحيتي التصميم والشكل. كما توجد الخزانات أو ما يعرف في عمان بـ« العوص » حيث يشيع لبسه في السلطنة. وتتزين النساء ايضا بالخلاخيل في المناسبات الخاصة فقط بسبب حجمها الكبير ووزنها الثقيل. وتوجد القلادات منها للصدر ومنها للشعر.

تلك كانت جولة « القافلة »، في سلطنة عمان نقلنا من خلالها بعض الصور للتعرف إلى بعض جوانب الحياة والتاريخ فيها. ■

المصادر:

١ - أعداد من مجلة القافلة.
٢ - مجلة « اخبار شركتنا »، الاعداد: الأول والثاني والثالث والرابع ١٩٩٢م.
٣ - مجلة « اخبار شركتنا »، العدد الرابع ١٩٨٩م، والعدد الأول ١٩٩٠م، والثالث ١٩٩١م.
٤ - كتاب عمان من اصدار وزارة الاعلام العمانية - مسقط ١٩٩٢م.
٥ - مجلة ارامكو وورلد، يناير / فبراير ١٩٨٩م
٦ - مجلة الشرق الأوسط، العدد ٢٧،٣٠٩ مايو - ٢ يونيو ١٩٩٢م.

قصة قصيرة :



الشاعر

قصة الكاتب الانكليزي : سومرست موم
ترجمة : د. عبد الجبار عبود علي ـ العراق

لست من المهتمين بأمر المشاهير من الناس ، ويضيق صدري ذرعا بتلك الرغبة الملحة التي تقض مضاجع الكثيرين في مصافحة من يدعون (بالعظماء) . وعندما يقترح عليّ بعض الاصدقاء أن أقابل شخصا يتميز عن أقرانه بمنزلته الاجتماعية العليا، او بأعماله ، فإني أبحث عن عذر لطيف يجنبني التشرف بمعرفته . وحين اقترح عليّ صديقي دييغوتوري ان يعرفني على كاليستو سانتا أنا رفضت اقتراحه . بيد ان العذر الذي قدمته في حينه كان لأول مرة عذرا صحيحا .

كان سانتا آنا شاعرا عظيما . وكان يطيب لى ان أذهب إليه فألمح فى شيخوخته ذلك الرجل الذي بالغت اسبانيا في ذكر مخاطراته حتى اصبحت من تقاليد البلاد، لكنني كنت أعلم انه طاعن في السن واقعده المرض. فلن يجد في مقابلة شخص غريب واجنبي مثلي الا سأما وانزعاجا. كان سانتا أنا آخر اتباع المدرسة القديمة التي كانت تعنى بجمالية القول وفخامته . وقد عاش حياة «بايرونية » في عالم لم يعد يؤثر فيه ابطال مثل «بايرون» . وشرح حوادث حياته المكتنظة بالمجازفات في سلسلة من القصائد جلبت له شهرة لم يعرف مثلها معاصروه . ولست اهلا للحكم عليها وعلى قيمتها لأنني قرأتها أولا عندما كنت في الثالثة والعشرين من عمري. ففتنت بها وطربت لها . فقد كانت تتدفق بالعواطف، وتنطق بالكبرياء وبالبطولة . ولا زالت تلك الأبيات الرنانة بموسيقاها الساحرة ممتزجة في ذكريات شبابي حتى اليوم . فلا أكاد اقرأها حتى يرقص لها قلبي . واغلب الظن عندي ان سانتا آنا جدير بالصيت الذي يتمتع به بين الشعوب الناطقة بالاسبانية . لقد كانت اشعاره في تلك الأيام تتردد على ألسنة الشباب .

ولطالما أفاض أصدقائي في الحديث عن اساليبه الغريبة في الحياة . وخطبه اللبقة (إذ كان سياسيا كما كان شاعرا) وفكاهته اللاذعة وغرامياته الكثيرة. فكان ثائرا وطريد القانون احيانا. فهو معروف بشجاعته وكثرة مخاطراته. كنا نعرف كل شاردة وواردة عن حياته الخاصة . أو لم نقرأ قصائده التي حملها عشقه وغضبه حتى حفظناها عن ظهر قلب ؟

ولكن هذا كله حدث منذ سنوات عديدة مضت . فقد انسحب الشاعر بازدراء من عالم ليس فيه جديد يستمتع به . وامضى سنوات عمره الأخيرة منعزلا في بلدة اثيخا ، مسقط رأسه . وقد عزمت على الذهاب إلى هذه البلدة، لأنها بلدة اندلسية جميلة تربطني بها ذكريات عزيزة علي ، فعرض عليّ دييغو ان يقدمني اليه ، والمعروف ان كاليستو سانتا أنا كان يسمح للادباء الشباب بزيارته في بعض الأوقات فيتحدث اليهم بين لحظة واخرى بتلك النار التي كانت تلهب سامعيه ايام عنفوان شبابه.

سألت صديقي : ما شكله الآن ؟

أجاب : مهيب !

- هل لديك صورة فوتوغرافية له ؟

- ليست لدي صورة له ، فهو قد رفض مواجهة آلة التصوير منذ ان بلغ الخامسة والثلاثين، معللا ذلك بأنه يود ألا تعرفه الأجيال القادمة الا رجلا فى ربيع الشباب .

وقد اثر هذا الغرور منه في قلبي ، فقد حباه الله في مقتبل عمره جمالا عجيبا . بيد اني رفضت ما عرضه عليّ صديقي ، يكفيني ان اقرأ القصائد التي كنت اعرفها حق المعرفة مرة اخرى، وان اتجول حرا في طرقات اثيخا الهادئة .

وفي مساء وصولي إلى البلدة وصلتني رسالة من الشاعر الكبير كتب فيها يقول ان دييغو توري ارسل اليه يخبره بمقدمي، وانه سيسر جدا إذا ذهبت لزيارته في الحادية عشرة من صباح اليوم التالي . ولم اجد حينئذ بدّاً - والحالة هذه - من ان اقدم اليه نفسي في بيته في الساعة المعينة .

كان الفندق الذي نزلت فيه يعج بالحركة صباح ذلك اليوم من ايام الربيع. وحين غادرت الفندق شعرت بأنني اتجول في مدينة مهجورة. فالشوارع البيض الملتوية خالية، ما عدا امرأة

هنا واخرى هناك تظهر بين الحين والآخر تمشي بخطوات رتيبة . ولفتت انتباهي قافلة صغيرة من الحمير يحمل كل منها خُرْجا اجهل ما بداخله . لكن أثيخا كانت في الايام الماضية مدينة ترفل بالعزّ ولها شأن كبير . ولكثير من بيوتها البيض مداخل من حجر حفرت فيها شارات النبلاء الذين كانوا يقطنونها . وكان دون كاليستو يسكن احد هذه البيوت . ولما وقفت على عتبة البوابة الكبرى وقد سحبت سلسلة الجرس ، اعجبتني روعة المكان الذي جعل منه مسكنا يليق بسمعته . فقد كان في مظهر البوابة فخامة رائعة ظهر عليها القدم، لم يرد احد على الجرس رغم اني سمعته يرن داخل المنزل . ولذا سحبته مرة اخرى ومرة ثالثة. واخيرا فتحت الباب عجوز وسألتني قائلة :

- ماذا تريد ؟

كانت عيناها سوداوين جميلتين، بيد ان نظرتهما متجهمة، فقلت لنفسي لعلها هي التي تدير شؤون الشاعر المسن . فسلمتها بطاقتي وقلت :

- لي موعد مع سيدك .

فتحت الباب على سعته وطلبت مني ان ادخل وانتظر ريثما تذهب إلى فوق ثم تعود . كان الجو باردا في الداخل بعد هجير الشارع . والبناء ينطق بسمات النبل ، يخيل إلى الناظر ان الذي بناه احد ابطال الاسبان في ايام امبراطوريتهم . بيد ان الطلاء قديم . وبلاط الأرضية مشقق ، وبانت بعض الشروخ على الجدران ، فكان مظهر الفقر يخيم على كل شيء ، لكنه فقر لا قذارة فيه . وكنت على علم بان كاليستو فقير الحال . فكثيرا ما جاءه المال طائعا بيد انه لم يعره اهتماما وانفقه بكرم سخي . وادركت الآن انه يعيش في فقر تأنف نفسه ان يهتم له . وكان في وسط بهو الدار مائدة على جانبيها كرسيان هزازان وعليها صحف تعود إلى ما قبل اسبوعين . فسألت نفسي ترى ما هي الاحلام التي تتداعى في خياله في ليالي الصيف الطويلة وهو جالس هنا يدخن ؟ ورأيت قرب احد الأبواب بندقيتين قديمتين معلقتين على الجدار . فطاب لي ان أتصور انهما كانا السلاحين اللذين استخدمهما في واحدة من مبارزاته الكثيرة . كان كل ذلك المشهد ، مع ذكريات الشاعر التي تخيلتها في غير وضوح، ينسجم تماما مع روح الشاعر الرومانسي . فشعرت ان مظاهر تلك الفاقة النبيلة تضفي على الشاعر مجدا يضاهي في الروعة بهاء شبابه . فبين جنبيه هو ايضا تفيض روح ابطال الامبراطورية القدماء . وانه لمن اللائق ان يقضي ما تبقى من حياته الشهيرة في ذلك البيت الفخم القديم . وقد عجبت من تأخره في النزول، مع انني جئت في الوقت المحدد .

سمعت صوت خطوات فدقّ قلبي . فقد تحمست للقائه عند ذاك كثيرا . ولما وقعت عينيّ عليه أخيرا وهو ينزل السلم ببطء ، وفي يده بطاقتي . أمسكت نفسي . كان شيخا طويل القامة ، ضعيف الجسم . وبشرته بلون العاج القديم . وشعر رأسه طويل أبيض . بيد أن حاجبيه الكثيفين ما زالا أسودين مما جعل عينيه تتألقان بوميض قاتم . وكانت عيناه تشعان بريقا رغم تقدمه في السن . ولما اقترب مني استقرت عيناه عليّ وهما تتفحصاني بدقة . كان يرتدي ثيابا سوداء . وفي إحدى يديه قبعة عريضة الحافة. فلمحت في مشيته وملامحه أنفة وثقة بالنفس . لقد كان كما كنت أتمنى ان يكون . لقد كان هو الشاعر متمثلا من قمة رأسه حتى أخمص قدميه .

وقلت لنفسي ان تلك لحظة تاريخية . فالآن يقف امامي وريث شعراء الاسبانيين العظماء ، وتذكرتهم واحدا واحدا. انه آخر تلك السلالة الطويلة . وشعرت بالحياء يدبّ في عروقي . وكان من حسن حظي انني كنت قد تمرنت على العبارة التي قررت ان ابدأ بها تحيتي للشاعر الكبير . قلت :

- انه لفخر مشرف يا سيدي لأجنبي مثلي ان يتعرف إلى شاعر عظيم مثلك .

فتألقت في عينيه البراقتين ابتسامة غريبة. وزم شفتيه ضاحكا ضحكة خفيفة . وصمت برهة وقال :

- أنا لست بشاعر يا سيدي . انما أنا أتاجر بأصواف الحيوانات. لقد أخطأت المنزل. فإن دون كاليستو يقيم في الدار المجاورة . كان واضحاً أنني قد أخطأت الهدف في بحثي عن الدار ■

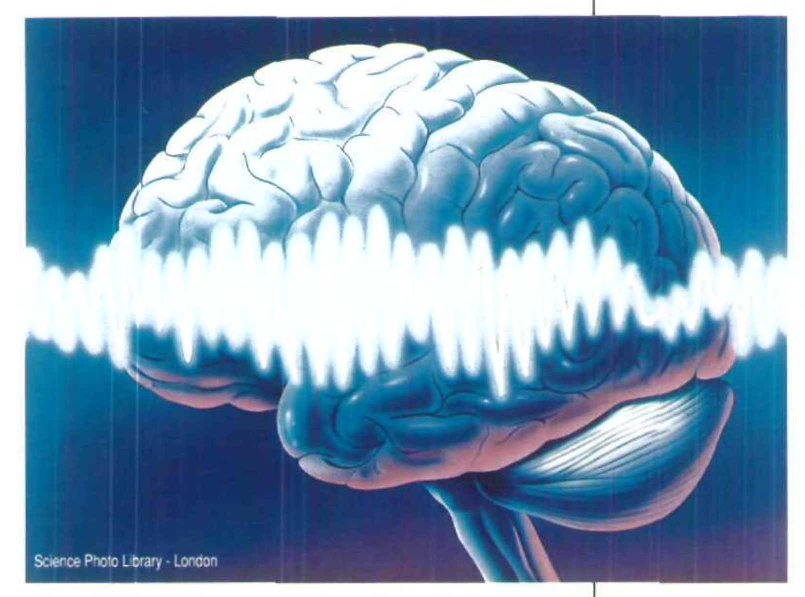
عن كتاب : Somerst Maugham
Selected Works. 1986
Longmans, Green and Co. LTD.
London



العقل البشري وخفاياه

بقلم : د. عيسى علي الملا ـ الظهران

يرتكز الانسان في أي عمل يؤديه على إدراكه أو تفسيره الشخصي لما يحدث من حوله. والادراك الحسي هو العملية التي من خلالها نوطّد ونرسخ الاتصال بالعالم الذي نعيش فيه .



صورة اصطناعية ملونة للمخ البشري، وتبين الخطوط المتعرجة كيفية تجاوب المخ مع حالات الصداع والاجهاد والام الجسم الأخرى، فيما يتحكم الجزء السفلي الأيمن من الصورة في الحالات اللاارادية للجسم كالتنفس والتوازن.

عملية الإدراك :

ان معرفتنا بالعالم من حولنا تأتي بشكل مبدئي عن طريق حواسنا ، حيث تأتي المعلومات عن طريق أعضاء الحس وتلقّم في مركز الدماغ ، ثم تنظم في نماذج ، وتشير الوقائع إلى أن بعض هذا التنظيم مكتسب وبعضه الآخر متأصل فينا منذ الولادة .

وهذه النماذج الكاملة مكونة من إشارات يقوم العقل بتبويبها وتصنيفها ، في كل المجتمعات الانسانية، تحت عناوين أو مفاهيم يجب تذكرها، فالنماذج المبوبة تخزن في ادمغتنا للرجوع إليها في المستقبل .

أما النماذج التي يجري تنظيمها لاحقا ، فهي تصنف ثم تطابق مع نماذج مماثلة تم تخزينها سابقا في الدماغ وتشير عملية المطابقة هذه إلى الاحساس بالمعاني، اي المفاهيم في اللغة الانسانية، وهكذا ، فإن اي نموذج ليس له اسم أو عنوان يبقي إحساسا مبهما بلا معنى، وإذا تطابق مع نموذج مخزون مسبقا ليس له اسم أو عنوان يصنف على انه معنى غامض وذو طبيعة خاصة جدا، الأمر الذي لا يمكن معه ايصاله إلى الآخرين .

وتعد عملية الادراك الحسي سريعة للغاية (اقل من ١/ ١٠ من الثانية) .

المفاهيم السلبية الشائعة في التعامل بين الآخرين:

ان مصادر الخطأ الاساسية في الادراك عند الانسان تكون عادة كما يلي :

* الافتراض بأن الشخص سوف يتصرف بنفس الطريقة في مواقف اخرى اعتمادا على ملاحظة تصرفه في هذا الموقف بالذات مهملين الأسباب الآنيَّة التي أملت عليه التصرف الحالي، بما في ذلك تصرف المراقب نفسه .
* محاولة تشكيل صورة ثابتة عن الشخص الآخر، معتقدين ان الصفات الجيدة يجب أن تكون مع بعضها ، وذلك لعدم وجود الرغبة لدينا في تمييز وادراك ان الشخص يمكن ان يكون على سبيل المثال ذكيا وكسولا في الوقت نفسه .
* التأثر إلى حد كبير بالانطباعات الأولى ، خاصة المظهر الجسماني واللهجة، ثم محاولة تطبيق ما نراه على نماذج مماثلة في المخزون العقلي .
* التحيز في تقييم من يخصنا او يهمنا امره ، كأن يكون من بلدنا او مجتمعنا .. الخ .
* التأثر إلى حد كبير بالجوانب السلبية في الشخص لدرجة تضعف كثيرا تأثير العامل الايجابي في شخصيته علينا .
* دوام الوقوع في الخطأ نفسه مما يدفعنا للاعتقاد بأن غيرنا

هم اقل مستوى منا أو نحسبهم عدوانيين أو أي شيء من هذا القبيل .

* عدم النظر إلى الآخرين بشكل كاف، او عدم الانتباه إليهم، أو عدم الاحساس بأن فيهم ما يستحق اهتمامنا .

ووفق السلوك الانساني هذا يكون كل امرىء منا صورة ذاتية عن نفسه، ويسعى لحمايتها والحفاظ عليها وتعظيمها والدفاع عنها ضد اي تغيير .

والكيفية التي نرى بها انفسنا لها تأثير قوي على شكل السلوك . لنأخذ مثلا حالة الموظف الذي ارتقى حديثا إلى رتبة مشرف . ففي دوره الجديد هذا عليه ان يراقب اثني عشر عاملا يشكلون مجموعة كان هو من قبل احد اعضائها، فإذا كان يرى في ذاته صورة رجل غير قادر على ادارة عمل الآخرين أو تقييم عملهم فسوف يكون من الصعب عليه العمل كمشرف، وإذا شعر انه من غير اللائق أن يأمر الآخرين او يخبرهم بما يجب عليهم عمله وكيف ومتى ، او أن يحل مشاكلهم عندما يتعرضون لأي صعوبات، فمن المتوقع انه سرعان ما سيفشل . وهذا المشرف الجديد قد يتصرف ، وبلا وعي منه، بأسلوب قائم على مفهومه الذاتي السلبي الآنف الذكر. صحيح انه قد يدرك فشله في عمله بعد ان يلاحظ ان مجموعته اصبحت اقل كفاءة ويرى انه عاجز عن ادارة جماعته، وبذلك يبرهن لذاته ان المفهوم الذي كونه عن نفسه هو مفهوم صحيح، وقد يشير رئيسه المباشر إلى تقصيره ويقيله من عمله في النهاية .. وبالرغم من انه فشل في وظيفته فإنه نجح في اعادة تأكيده لمفهومه الذاتي. ويعتقد بعض علماء النفس ان الرغبة في الحفاظ على مفهومنا الذاتي الرمزي هي أقوى الدوافع الانسانية على الاطلاق، فكأن التخلي عن مفهومنا الذاتي يعتبر - إلى حد ما - تخليا عن هويتنا، وسواء كان هذا المفهوم صحيحا أم لا ، فإننا نميل إلى التمسك به تمسك اليائس المستميت، محافظين بذلك على الصورة التي كونّاها عن انفسنا .

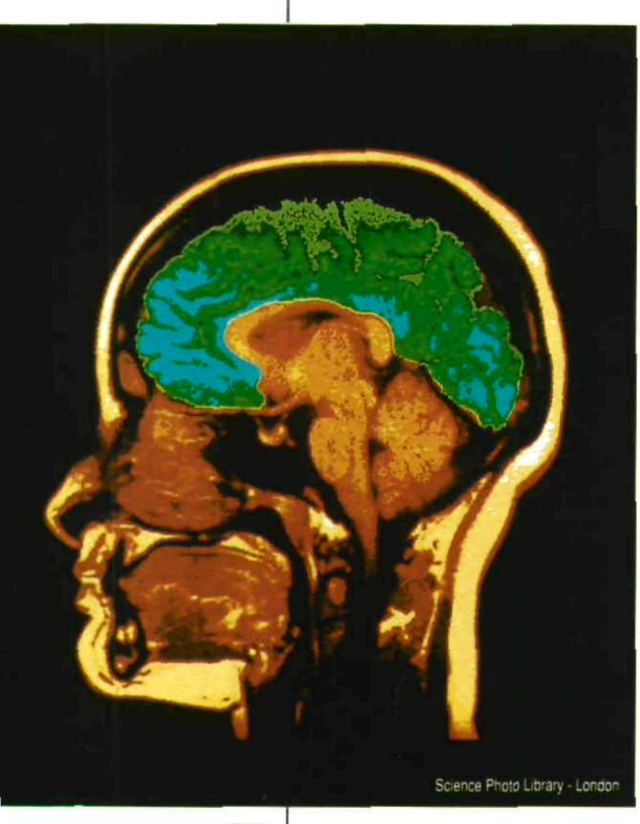
الادراك الحسي :

ينص هذا المبدأ على أن كل انسان يعيش في عالمه الخاص الذي يبنيه حوله دون ان يدرك ابعاده الحقيقية، حيث ان المعلومات التي يسمح لها بالدخول إلى ادراكه الحسي عبر نوافذ الاحساس - الذي يحدد ردود فعله تجاه ذلك العالم - تصبح من العوامل القوية التي تصنع شكل حياته . ان تفسيرنا الشخصي لما نتلقاه عبر الحواس الخمس قد ينير عالمنا هذا، وقد يجعله مظلما، قد يفتح عقولنا على ما حولنا أو يحجبه عنها بتجاهلنا أو تحيزنا الشخصي .

لذلك ، فإن كيفية مواجهتنا للأمور والطريقة التي نتعلم ونتفاهم بها مع الآخرين ، والكيفية التي تتحرك بها دوافعنا .. كلها تعتمد اعتمادا اساسيا على ما نراه .

عمل الادراك الحسي:

من المسلم به أن المنبه الواحد لا يكون له نفس التأثير على شخصين مختلفين، لأنه لا يوجد اثنان متشابهان تماما. وادراكنا للاشياء لا يأتي من خارج ذواتنا، بل من داخلها ، فنحن لا نرى بالعين وحدها، وانما ننظر بعين «الذات» إلى شخصيتنا بكاملها، ولذا فإن كل تفسير للمدركات تصبغه خبراتنا الفردية بلونها، وتعطيه نكهتها وتلبسه رداءها .



صورة مقطعية للجمجمة اخذت من خلال جهاز التصوير بالرنين المغناطيسي (MRI) ويوضح الجزء الأخضر منها المخ البشري بكل تفاصيله الدقيقة، وهي المنطقة التي تتم فيها كل عمليات التفكير وتختزن تجارب وخبرات الكائن البشري.

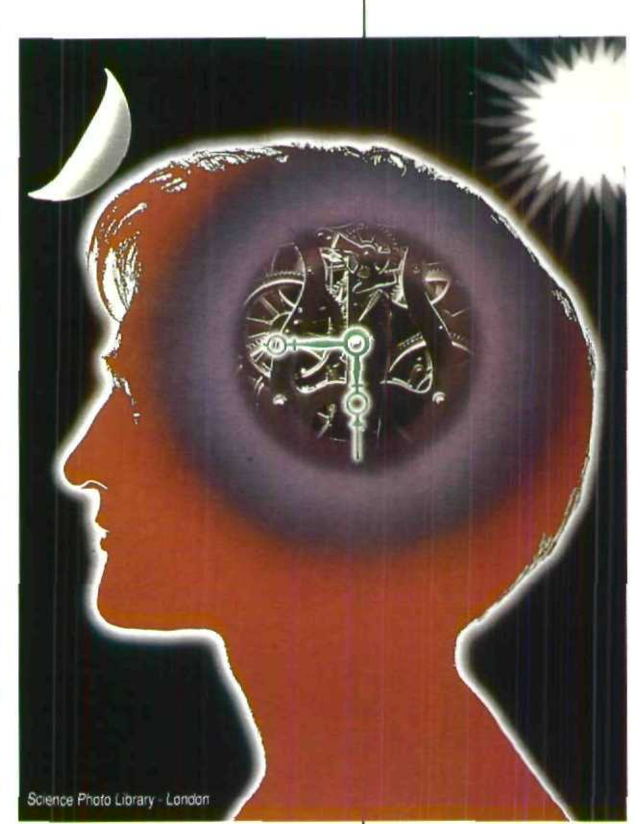
وكذلك ليس للمنبه الواحد نفس التأثير على الشخص ذاته في اوقات مختلفة، حيث تختلف الطريقة التي نرى بها الأشياء تبعا للتغييرات التي تحدث في شخصياتنا. فالشخص يتغير بفعل المشكلات الجديدة التي يواجهها والهموم الجديدة التي يعانيها والاهتمامات المستجدة ، وما يحققه من نجاح جديد أو ما يتعرض له من اخفاق .

كما ان التقلبات النفسية واختلاف المزاج والخبرات الجديدة المختلفة عندما تحدث في الشخصية، تؤدي إلى رؤية مختلفة، وبالتالي إلى ادراك مختلف . فما يراه الشخص وهو متعب غير ما يراه وهو يتفجر نشاطا وما يراه وهو مكدود الذهن غير ما يراه وهو متقد الذهن صافي التفكير . وعندما نتغير

لا نعود نرى الأشياء بالطريقة ذاتها مرة اخرى .

ولابد من الملاحظة هنا أن المرء يميل إلى الشعور بأن هذه القاعدة تنطبق على الآخرين ولا تنطبق عليه .. ولكن الحقيقة أن لا أحد تبلغ به الموضوعية حدا كافيا يجعله يدعي انه لا يقع تحت تأثير هذه التغيرات .

ونحن نتعلم رؤية الأشياء بهيئة معينة ، فالرؤية ليست حدثا تلقائيا يتم دون سبب، كما ان الرؤية ، لا تخلق معنا، بل نتعلمها . لذا فإن الانسان يرى الأشياء متأثرا بما تعلمه من قيم ومعتقدات ومواقف واحاسيس، وذلك التعلم يشير إلى عملية متكاملة تكشف بدورها الغطاء عن وجود نمط فردي متكامل يلتزم به الفرد في ادراكه للأشياء، حيث يتأثر ادراكه لها بالعائلة والمجتمع والمسجد والمدرسة والأتراب والمجموعات التي ينتمي إليها، فكل ما يسميه الناس « تربية » يقع في اطار ادراك الشخص للأشياء، مما يعطيه طابعا فرديا خاصا.



تمثل هذه الصورة التركيبية المخ البشري كساعة دقيقة منضبطة تتحكم في كل حركات وسكنات الانسان ليلا ونهارا.



ولكن قلما يرى الانسان الأشياء كما هي ، فهو ينظر إليها بعين ذاته، ويسبغ عليها المعاني التي يحسها هو... ونحن لا نستطيع التهرب من ميلنا إلى تلوين ما نلاحظه بلوننا الخاص. ومن هنا نجد ان الرؤية تتأثر بعوامل كثيرة كالعمر والمركز الاجتماعي أو العلمي والوضع الجسماني والحالة العقلية .. الخ فالانسان السعيد يرى العالم بمنظار يختلف عن ذلك الذي ينظر من خلاله الانسان التعيس. كما ان الرئيس الكثير الانتقاد يتحين الفرص للانتقاد ، بينما الذي يثق بالآخرين يتحين الفرص ليعبر عن ثقته بهم. ان الطرف الأهم هو الناظر إلى الشيء وليس المنظور إليه .

ومن الحقائق التي قد لا يدركها الكثيرون اننا نرى الأشياء كما تعودنا ان نراها من قبل، بحيث اصبحت مألوفة لدينا .. وهذا النمط الخاص في تكون العادات وان كان ضروريا لمساعدتنا في تنظيم افكارنا وادراكاتنا .. الا انه قد يسبب لنا بعض الاشكالات عندما تتصادم الحالات التي لم تعد موجودة الا في ذاكرتنا مع الحقائق الجديدة، والافكار الجديدة .

والانسان عادة يرى ما يبحث عنه، فليس بوسعنا ان نمنع اسقاط ما في انفسنا على ما نرى، لأننا نميل إلى النظر للأشياء بعين المتمني ان تكون كما نتوقع وهذا هو الفخ الذي يقع فيه الشخص الذي يحكم مسبقا على حالة ما ، ثم يفتش عن مبررات معينة تدعم حكمه، وسوف يجدها حتما، كما أن الخوف يضيق من ادراكنا، ومن الممكن ان يجعل من الرجل الناضج المدرك اعمى لا يبصر، او يجعله يرى أشياء غير موجودة على الاطلاق .

ومن الطبيعي ان الانسان يميل إلى تكملة الأشياء الناقصة، فنحن ننشد الكل وليس الجزء وعقلنا يرفض السماح للأشياء ان تبقى ناقصة. لذا، ومن اجل استكمال المعنى والحصول على النظام والتناسق، نضع الجواب ونقبله كحقيقة، فنحن نكمّل الناقص بحقائقنا الذاتية ومن ثم ندافع عن وجهة نظرنا .

كذلك يعمد المرء إلى تبسيط الأمور التي لا يعرفها او لا يفهمها بحيث تصبح مفهومة، او ليحفظ ماء وجهه امام الآخرين، فهو لا يريد ان يعترف انه يجهل هذا الأمر، حتى امام نفسه، فغالبا ما تهمل بعض الحقائق المهمة، وتوضع مكانها حقائق اخرى تبدو لنا مقنعة ، وذلك لأننا نسينا الأولى أو لم نفهمها . اننا نقوم بصنع بنية متكاملة لما نراه، مشوهين بذلك حقيقة الشيء الذي نقوم بعرضه أو ايصاله للآخرين .

ولا شك ان ردود فعل الانسان العاطفية تجاه نفسه وتجاه الآخرين غالبا ما تقف حائلا دون الادراك الموضوعي. فالأحاسيس هي نقطة الارتكاز للادراك الحسي والتواصل، إن الشعور تجاه ما نلاحظ دائما يسبق ادراكنا له، فعندما تسأل أحدهم : «لماذا تكره هذا ؟ » يأتي الجواب غالبا «لا أدري ولكنني أكرهه وحسب» . والانسان يغير من إدراكه عندما يكتسب موقفا جديدا يستند إلى معرفة أو قيمة جديدة، وهو لا يرى الرؤية القديمة طوعا، لأن الخبرات لا تعتبر جديدة بالنسبة لنا إلا إذا سمحنا لها بأن تكون كذلك .. وإلا فنحن نراها بمنظارنا القديم ■

قصيدتان

شعر : معشوق حمزة ـ قطر

١ - نجمة موستار

إرْما ..
كفراشةِ بستانٍ
في النورِ
كانتْ تلعبُ ،
خلفَ السورِ
في زاويةٍ ،
في البوسنَهْ ..
عصفورَهْ ..
خرجتْ من أسوارِ الصورَهْ !
تملأ أرجاءَ المعمورَهْ
بالألحانْ ..
تعلنُ أنَّ ربيعَ الدنيا ،
ينبتُ في كفِّ الإنسانْ .
صرختْ فجأهْ !
وقعتْ فوق الوردِ
شظيّهْ ..
جاءتْ من كهفِ الهمجيّهْ ..
تحملُ حقداً .
سقطتْ إرْما ..
تنزفُ أحلاماً
ورديّهْ ..

إرْما ..
يا نجمةَ موستارْ .
يا قلبا ينبض للأجيالْ .
لن تغربَ شمسكِ
عن موستارْ

٢ - الطريق إلى سراييفو

كفُّهُ من نداءْ .
ليس فيها سوى الدَّمِ ،
والذكرياتِ القتيلةِ ،
والكبرياءْ !.
صلةُ الوصلِ
بين الشفاهِ ،
وعالي السماءْ .
نازفُ القلب ،
محتدمٌ بالنضالِ ،
وبالخطوة الهادرهْ .
تستريحُ على جانبيه
قصائدهُ القادرَهْ !.
ينبتُ الوردُ
بين أكفِّ التلال ،
تغلّفها الاغنياتُ ،
بعطر الرجولةِ .
تزهر أشجارُهُ
بالضياءْ .
أظلمته الغيومُ
تضيءُ قناديلهُ
من عيون الصغارِ ،
تمدُّ إلى الأفْقِ
أحلامها الوارفَهْ .
دائماً .. يتجدَّدُ ،
محتمياً
بابتهالاته النازفَةَ !

تقنية الاتصالات الفضائية وآثارها الثقافية

بقلم : د. محسن خضر - مصر

- «أنظر، الشوارع خالية: انه زمن دالاس».
- «لعل انبل انجاز تحقق في القرن الحالي هو هذا الذي نشهده: فنحن اذ نلغي المسافات ندرك اننا أخوة أينما كنا».

العبارتان السابقتان مكملتان لبعضهما. الاولى تنسب للباحث الفرنسي الاعلامي الشهير سيرج لاتوش Serge Latouch عن ملاحظة يبديها الى صديق جزائرى في أثناء سيرهما في شوارع الجزائر عام ١٩٨٤، اما الثانية فتنسب الى الباحثة الامريكية إيلي فيزيل الحائزة على جائزة نوبل عام ١٩٩٠م.

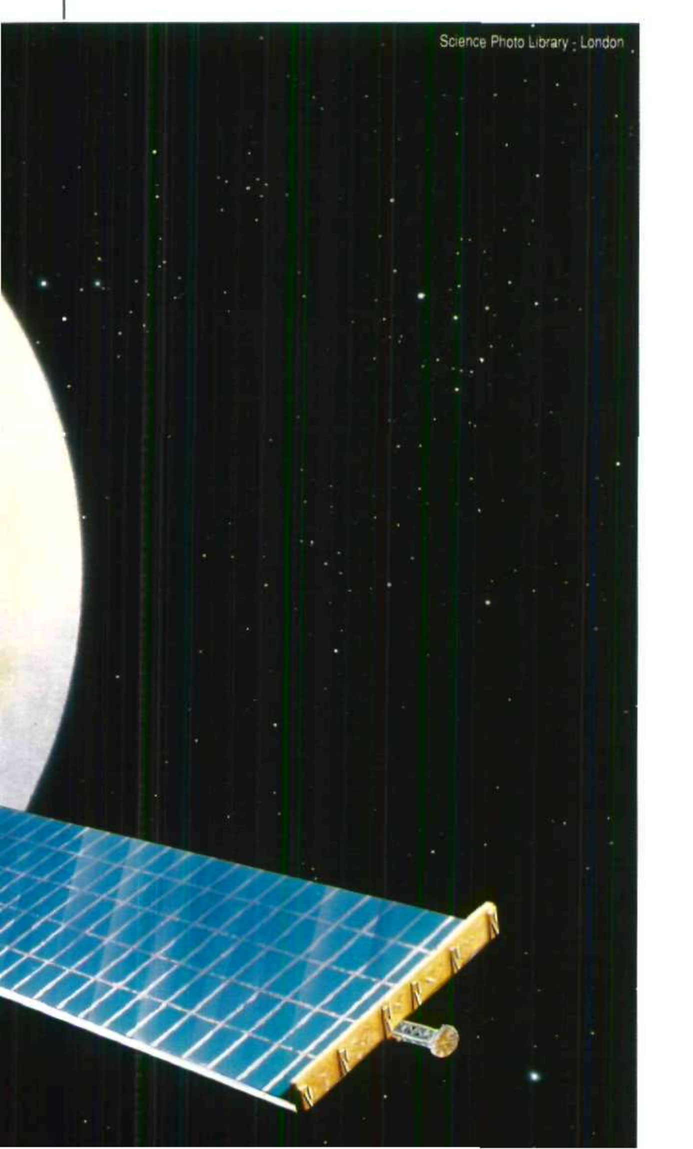
العبارتان السابقتان تصفان تأثير تقنية الاتصال في حياتنا المعاصرة. ففي العقود الاخيرة اصبحت الصورة قلب الثقافة المعاصرة، بحيث اوشكت الثقافة الانسانية تتحول تدريجيا من ثقافة الكلمة الى ثقافة الصورة، ومن ثقافة القراءة الى ثقافة المشاهدة.

أصبحت الصورة التي تنقلها اجهزة التلفاز عبر الاقمار الصناعية هي التي تشكل الاتجاهات، وتصوغ القيم وتوجه سلوك ملايين المشاهدين الذين يتابعونها باشكال مختلفة عبر الاخبار والاعلانات والدراما التلفزيونية، وباختصار فان كل الاحداث أصبحت تجوب العالم عبر موجات الأثير.

وقد اطلقت تسميات عديدة على ثقافة الصورة، مثل «انفجار الاتصال السمعي والبصري» أو «البث غير المباشر» وليس «البث المباشر» كما هو شائع لان الاقمار الصناعية تشكل وسيطا بين محطات الارسال واجهزة الاستقبال في بلدان اخرى. وكذلك «تقنية الاقمار الصناعية»، والآن اصبح المواطن العربي يشاهد في اللحظة نفسها البث الذي يشاهده المواطن الغربي. وقد أثارت هذه التقنية وآثارها الانزعاج بين علماء الاجتماع والثقافة والمربين.

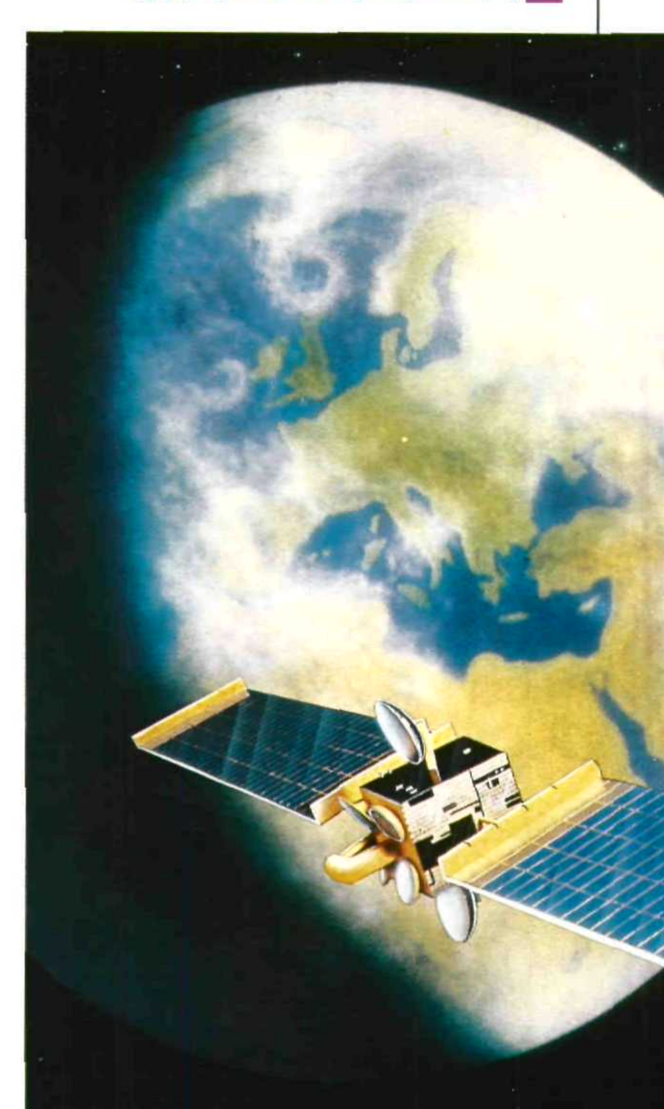
عصر التلفاز:

حجم ما يتلقاه الطفل الاوربي من معرفة في شهر يساوي حجم ما كان يتلقاه شيخ في السبعين طيلة عمرة في العصور الوسطى من معرفة. ويصف «توم شيلز» الصحفي الأمريكي في جريدة «الواشنطن بوست» الحقبة الراهنة بقوله «نعيش اليوم عصر التليدبلوماسي» اي دبلوماسية التلفاز، حيث اصبحت الحرب مجرد صور وكلمات. ويتمتع المواطن الاوروبي اليوم بمشاهدة ٢٧ قناة تلفازية على الاقل، وهي القنوات القمرية المتاحة حاليا عبر اقمار «انتلسات» والقمر الصناعي الأوروبي «ايريان» والقمر الفرنسي «تيلكوم».


Science Photo Library - London

لقد اصبح التاريخ يتشكل اليوم بواسطة التلفاز. ونحن نعيش ثورة «التلفاز بلا حدود». أو «القوة العظمي الثالثة» كما يصفها «تيموثي غارتون» استاذ العلوم السياسية بجامعة اكسفورد. وقد بلغ حجم ما ينفقه العالم على البرامج التلفازية حاليا ٦٥ مليار دولار، وفي هذا الصدد فقد نظم المجلس الاوروبي مؤتمرين وزاريين بشأن سياسة الاتصال الجماهيري، أحدهما في فيينا ١٩٨٦م. والثاني في استوكهولم ١٩٨٨م. وتمخض عنهما «ميثاق بروكسل» ١٩٨٩م. ويهدف هذا الجهد الى حماية هيئات التلفاز الوطنية من ان تتحول الى مجرد موزع للبرامج المنتجة خارج اوروبا، وتتضمن الاتفاقية تنظيم البث التلفازي عبر حدود الدول الاعضاء ودعم توزيع الأعمال المنتجة في أوروبا في مواجهة المنافسة الامريكية بتخصيص الجزء الأكبر من بثها للبرامج الاوروبية.

رسم انطباعي للقمر الصناعي «اولمبس» الذي يقع مداره فوق اوروبا، ويستخدم هذا القمر في اغراض الاتصالات الهاتفية وشبكات المعلومات، ومحطات الاذاعة والتليفزيون.



ان قدرة الاقمار الصناعية على البث عبر الحدود الجغرافية للدول، يجعل هذه الدول تفقد تحكمها بالمعلومات التي تصل الى مواطنيها، ويترتب على ذلك هجرة الافكار والثقافات والقيم بلا رقابة عبر الاقمار الصناعية. ويحذر فريدريكو مايور مدير عام اليونسكو من هذه السيولة المختلة بين دول الشمال والجنوب، قائلا: «ان النظام الجديد الذي نسعى الى بلوغه ينبغي ان يقوم على توازن بين تأكيد القدرات الخلاقة لجميع الشعوب والجماعات واعتراف كل منها بالمصير المشترك للانسانية بأسرها».

ومن هذا المنطلق لابد من تمكين الشعوب والافراد من ممارسة حقها في الاعلام استقبالا وارسالا باعتباره حاجة اجتماعية وثقافية.

ان حرية الاعلام ينبغي الا تنفصل ابدا عن احترام القيم الأساسية التي اصبح الجميع يشتركون في تمثلها على مستوى عالمي. ونذكر من هذه القيم احترام كل فرد، وحماية الحقوق لكل كائن انساني، والدفاع عن السلام العادل والدائم في مختلف بقاع العالم. وليست دول العالم الثالث وحدها هي المتضررة من غزو الصور المبثوثة من الفضاء، بل تقف الدول الاوروبية ذاتها في مقدمة المتخوفين من غزو الارسال الامريكي.

وقد اعترضت الولايات المتحدة على مشروع «تلفاز بلا حدود» حيث وصف ممثلها في اجتماعات الجات انها تخفي تسمية اخرى اكثر دقة وهي «تلفاز عند الحدود». واعتبرت الولايات المتحدة ان برنامج «اوريكا» الذي اوجده ميثاق بروكسل «وهو برنامج لتطوير وانتاج السمعيات والمرئيات على اساس الثقافة تسبق الاقتصاد، وانها ليست سلعة كالسيارات والثلاجات»، ان هذا البرنامج يعوق التجارة. وردت فرنسا مطالبة بتخصيص ٦٠٪ من البث الاوروبي في فترة الذروة للبرامج الاوروبية، وتخصيص ٥٠٪ للاعمال الناطقة بالفرنسية لحماية تراثها الثقافي واللغوي، وهي النسبة التي خفضت الى ٤٠٪ بعد احتجاج بقية الدول الاوروبية، مع ملاحظة ان الفرنسية تلي اللغة الالمانية وتسبق الانكليزية في حجم انتشارها في اوروبا.

وتستدعي المناقشة سؤالا عربيا هو: متى يدخل العرب عصر الصورة؟ هناك من يرى اننا مازلنا لم نحسن السيطرة على اللغة السمعية البصرية، ونادرا ما نجيد استعمالها، ويكفي ان نتابع عن كثب برامج التلفاز العربية لنفهم معنى

العجز الحالي والعيش على هامش الحاضر ويشير «جيمس باولي» الى ان الدول العربية يسودها نزوع نحو السلبية لدى محاولتها ايجاد وسائل لمواجهة الهيمنة الغربية على وسائل الاتصال والمعلومات.

حدود تقنية الإتصال :

تشكل التقنية بالنسبة للاعلام أهمية كبرى لانه ميدان تختمر فيه امكانات



امتلاك سبل التوجيه بالرموز والاشارات اللازمة لما يسمى تطور الرأسمالية العالمية الاندماجية لكي تحقق هذه الرأسمالية أفضل ظروف الأداء. وستكون هذه الرأسمالية في وقت واحد مرجعاً جماعياً للتطور الاجتماعي والانتاج وموجها للابتكارات التي تتكيف مع هذه الدوافع الداخلية وسوف يتحقق التكامل بين



جانب من مدينة الملك فهد للاتصالات الفضائية في جدة.

التقنيات والكتابات الاقتصادية والادبية تحت تأثير تطور المجال التقني وخاصة التصور البيولوجي التكنولكيتروني.

ومن ملامح العصر الاعلامي الحالي سهولة انسياب المواد الاتصالية والمعرفية في العالم، حيث تتضاءل الحدود والحواجز على مستوى العالم، كما تسيطر الدول الأقوى تقنياً على المادة المناسبة وتتحكم في انتاجها وتدفقها وبالتالي تكيفهاوفق مصالحها الثقافية والحضارية.

ومن هذه الملامح سعي الدول النامية الى اكتساب تقنية الاتصال وتأسيس صناعات وطنية للمواد الاتصالية تحاول من خلالها تأكيد حضورها الثقافي والحضاري محليا وعالميا، ومن هذه الامثلة سعي معظم الدول العربية لانشاء قنوات فضائية خاصة بها.

فالقرن القادم سوف يكون قرن التعددية الاتصالية وليس اعلام الدولة الواحدة، وسوف تسهم هذه التعددية في اعادة التوازن للاتصال الاعلامي وفي تنّوع وسائل التعبير ودعم شتى الخصوصيات المكونة للذاتية الثقافية وتسيير العمليات، حيث لم يعد الاعلام مرتبطا بالتنظيم المألوف للاتصال ولكنه اصبح بطريقته الخاصة من عوامل الانتاج. ويمتلك هذا الاعلام قدرة على التأثير على القيم داخل الذاكرة الجماعية وأشكال الموروث ويحطم ما هو معروف.

وتمتلك الشبكات الالكترونية الاعلامية في قنواتها لغة ومدلولات خريطة اجتماعية سياسية إدراكية تعتمد على التدفق الاعلامي الحر ومناخ التعايش السلمي الذي يخفف حدة التوترات، وبعد اشهر قليلة سوف تطلق وكالة الفضاء الاوربية ٢٤ قمرا صناعيا تبث برامج تلفازية يمكن للمواطن العربي التقاطها عن طريق هوائيات صغيرة. ويهدف تطور تقنية الاتصال السمعي البصري بامكاناته الضخمة نقل المعرفة وتخزينها وتبويبها واعادة توزيعها وتوظيفها بفضل أنظمة جديدة ستمكن من بث البرنامج الواحد بعدة لغات في أن واحد بما سيتيح حيزا شاسعا لبث البرامج الاتصالية وسيتسع هذا الحيز بتعدد القنوات وتنوعها وتنافسها على جذب المشاهدين.

ومن المتوقع في نهاية هذا القرن ان يكون لدى كل بلد اوروبي في المتوسط ثلاثون شبكة عن طريق الكابل وثلاث شبكات لسمعيات الاقمار الصناعية للبث المباشر وثلاث شبكات عامة تضاف اليها شبكات محلية لايعرف بعد كيف ستتطور ويأتي التطور الجديد لتقنية وسائل الاتصال من خلال استخدام الاقمار الصناعية في البث التلفازي. وهي اقمار لايمكن التشويش عليها.

وتتحدد وظائف الاقمار الصناعية بشكل عام فيما يلي:

- نقل الارسال التلفازي في المجال المحلي من مدينة البث الى مستوى الدولة كلها وذلك في الدول المتسعة الارجاء او التي تعترض السلاسل الجبلية بها - اذا وجدت - وصول الارسال الى الاطراف البعيدة منها مثل: الهند - واستراليا - والبرازيل.

- التغلب على مشكلة الارسال الارضي، حيث ان اي دولة لاتستطيع ان تبث اكثر من ٤ أو ٥ قنوات تلفازية على ارضها فتلجأ الى بث عدد أكبر من القنوات باستخدام قمر صناعي تلفازي لتجنب التداخل.

- استخدام اقمار تلفازية لخدمة التخصص في مجالات الفنون بانواعها والاخبار والعلوم والرياضة والاطفال وتقديمها لمن يطلبها على مستوى العالم.

وتتمثل اخطار ثورة تقنية الاتصال باستخدام الاقمار الصناعية في تداخل الرسائل الاتصالية واستغلال تجار الاعلان لهذه الامكانات لتجعل الاتصال السمعي البصري سوقا يبيع المشاهد الى المعلن التجاري، وتؤدي الى التأثير على السلوك الاجتماعي والاقتصادي والحضاري لصالح القوة الظاهرية او الخفية التي تقف وراء البث، وفي ضوء هذا نفهم كيف توجه فرنسا خدمة معلومات مجانية بالاقمار الصناعية لمحطات الاذاعة والتلفاز الافريقية. وتتمثل القدرة المتنامية -وبالتالي أثارها الثقافية- للاتصال عبر الاقمار الصناعية في تخطي الحدود القومية، وفي هذا الصدد يقول سيرجي لاتوش «فمع الاقمار الصناعية للاتصالات البعيدة المدى وتقنية معالجة المعلومات بالحاسوب تغدو العولمة ظاهرة مباشرة، ويتخلص تنميط المنتجات الثقافية وانتاج المعايير والانماط من كل تأصيل. ولايمكن للتدفقات الاعلامية عبر القومية الا أن تشكل رغبات وحاجات واشكال سلوك وعقليات ونظم تعليم وانماط حياة المستقبلين. كما ان فقدان الهوية الثقافية الذي ينتج عن ذلك امر لاجدال فيه، وهو يسهم في زعزعة الهوية القومية سياسيا واقتصاديا. كما ان ما يتبقى من الابداعية- القومية يجد نفسه في حالة تبعية ازاء ثقافة تبدو، وهي بالفعل، اجنبية. على ان من المفارقات ان هذا الطابع الاجنبي، وهذا الاغتراب، وان كان يجري اقتسامه على نحو غير متكافيء، يغدو مع ذلك عالميا».

قبل ثلاثة اعوام انطلق الصاروخ الاوروبي «أريان» حاملا ثاني قمر صناعي فرنسي للبث المباشر T.D.F.2، وقد اثبتت هذه التقنية فاعلية من قبل عمليات البث الفضائي الى الهوائيات مباشرة بالاضافة الى شبكات الكابل التي تستخدم الاقمار الصناعية الفرنسية والالمانية الاربعة العاملة على نظامي T.D.F.T.V. Sat وهي تقنية قديمة نوعا ما. اما التقنية الافضل فعن طريق الاقمار الصناعية التي تملك قدرات متوسطة ومجهزة بهوائيات قادرة على تغطية مساحات اكثر، وعلى بث مجموعات من البرامج بلغات مختلفة الى مناطق متعددة في وقت واحد، كالبرنامج الاوروبي «اولمبوس» الموضوع في مدارات منذ عام ١٩٩٠م. ويشاهد المواطن الاوروبي ما تبثه الاقمار الاوروبية بهوائي صغير الحجم بينما يشاهد المواطن العربي ما تبثه اقماره العربية بهوائي ضخم قد يزيد حجمه عن المترين، وكلما ازداد التقدم سيقل قطر الطبق المستخدم لاستقبال الارسال مباشرة من الاقمار الى ان يصل حجمه الى ١٠ سم بحيث يمكن وضعه داخل جهاز التلفاز.

Science Photo Library - London

احد أقمار «انتلسات» (F-3٦) للاتصالات، كما يبدو من خلال مكوك الفضاء «انديفور» وقد اطلق هذا القمر في مارس ١٩٩٠م، باستعمال صاروخ تيتان، ويتوقع ان يصل عمره عشر سنوات.

وحاليا يمكن استقبال ارسال القنوات الاوروبية في الوطن العربي ولكن ذلك يتطلب طبقا ضخما عالي التكلفة ممايعوق مشاهدة البث التلفازي الاجنبي في المنازل العربية نسبيا. وفي مصر وحدها يصل حوالي عشرون بثا تلفازيا يمكن التقاطها من اقمار صناعية بطبق قطرة ٣ امتار.

وتسعى دول الغرب الى التخلص من خطة جنيف التي لم

المراجع :

١ - سيرجي لاتوش: تغريب العالم، ترجمة خليل كلفت، كتاب العالم الثالث، دار العالم الثالث، القاهرة ١٩٩٢م، ص٧.

٢ - كلمة إيلي فيزيل في حفل توزيع جوائز نوبل بستوكهولم في نهاية ١٩٩٠م.

٣ - ميشيل ماتان: الاتصال الاقليمي او اتصال الجوار، موازنة لتأثير تلفزيون بلا حدود، ندوة الهوية الثقافية الوطنية وتكنولوجيا الاتصال، القاهرة ٢-٣ نوفمبر ١٩٩١م.

٤ - فريدريكو مايور: نظرة في مستقبل البشرية، ترجمة د. محمود علي مكي، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة ١٩٩٠م، ص ٢٣٢.

٥ - بيار ابي صعب: العرب وعصر الصورة في مجلة اليوم السابع، باريس ١٠/٧/١٩٨٩م.

٦ - عبد الرؤوف الباسطي: الامين العام لاتحاد الاذاعات العربية (حوار)، جريدة الحياة في ٣١/١٠/١٩٨٩م.

٧ - فاروق عامر: السماء تمطر برامج، الاهرام في ٢٩/٧/١٩٩١م.

٨ - لطفي الخولي: الابعاد الوطنية والدولية لازمة الديمقراطية المعاصرة في وسائل الاعلام والاتصال، مجلة الطليعة، ع١، القاهرة يناير ١٩٨٥م.

9 - Priyegine, Ilya: Science, Civilization and Democracy Values, Systems, Structures and affinities, Futeure, Aug, 1986.

تحقق فيها دول العالم الثالث الحد الادني من الضمانات الاعلامية امام طغيان الاعلام الغربي. ووجد الاتحاد الدولي للاتصالات نفسه مضطرا لاعتبار المدارات الثابتة حول الارض ارثا انسانيا مشتركا بحيث يحصل كل بلد على حصته من الفضاء وذلك تحت ضغط من دول العالم الثالث.

وتريد دول الغرب التخلص من خطة جنيف باستخدام الاقمار الصناعية للاتصالات الاقليمية التابعة للمنظمة الاوروبية للاتصالات من بعد «اوبتلسات» والاقمار الوطنية «تيليكوم» وD.F.S التي تعطي بثا تلفازيا مشتركا.

وتتمثل وجهة نظر دول العالم الثالث المناهضة للهيمنة الاعلامية الغربية خاصة الامريكية في أن «جوهر السعي هو الوصول الى تنظيم ديمقراطي لممارسة حرية الاعلام والاتصال، من خلال توافق دولي جديد يستجيب الى الاحتياجات الحقيقية للعصر العالمي الراهن، وبناء جسور الحوار والتفاهم المتبادل، دون حجر او تسلط او نعرات عنصرية بين الشعوب والدول. وبدون انجاز هذا الهدف، فان استمرار التناقض القائم بين النزوع الديمقراطي المتزايد للعصر وبين احتكار القلة المتقدمة لوسائل الاعلام والاتصال، يهدد بمزيد من التردي والفوضى في العلاقات الدولية».

الثقافة العربية وتقنية الاتصال:

اما ابعاد التأثير الذي تشكله ظاهرة البث التلفازي باستخدام القمر الصناعي على الثقافة العربية؟.

يمكن التفريق بين نوعين من المشاركة التي تقدم من خلال هذا البث الاول: ويعني به ديمقراطية المشاركة بين الشعوب المختلفة -المتقدمة والنامية- في مشاهدة المواد المبثوثة نفسها. ولكن هذا الطرح قد يعني ديمقراطية شكلية لان الطرف الاقل تقدما سوف يشاهد ما انتجه الطرف المتقدم، من زاويته وفلسفته وتوجهه ورؤيته، وهو ما يعني ان ثقافة طرف ووجهة نظره للعالم هي التي ستسود. فنحن كمن سيحضر المباراة ولكننا سنجلس في مقعد معين في ملعب الكرة اختير لنا لنرى المباراة من زاوية معينة.

وتختلف الآراء في تفسير العلاقة بين الثقافة وتقنية الاتصال ففريق يرى أن نمو قطاع النشاط العلمي ضمن الحيز الثقافي المحيط الى الحد الذي يبدو معه قد اخذ يحل محل الثقافة برمتها. وبينما يرى فريق آخر أن الانتصار الحديث للعلم يخوله على الاقل التحكم في الثقافة باجمعها وهناك فريق ثالث يرى ان شبح الخطر الثقافي يلوح عن بعد في الافق عندما يصبح الفرد والمجتمع واقعين تحت نفوذ العالم.

لقد تفاعل العلم مع الحضارة من خلال الثقافة، وقد تفاعلا مع بعضهما بعض ايضا من خلال مفهوم عقلي هو تصور الكون وثمة موقفان متقابلان، يتخوف الموقف الاول من طغيان النموذج الثقافي الغربي من خلال البث عبر الاقمار الصناعية، بينما يعرب الموقف الثاني عن تفاؤله بقدرة هذا البث على تقديم ثراء معرفي من خلال الاستفادة من ثورة المعلومات والاتصال بايقاع العصر واحداثه ومواكبتها. وتربط الرؤية الاولى البث غير المباشر عن طريق الاقمار الصناعية بحدوث الغزو الثقافي، باعتباره حلقة جديدة في سلسلة التآمر الغربي ضد الوطن العربي. وفي محاولة اعلامية للمقاومة تعنى بعض الدول العربية بحشد اكبر كم ممكن من البرامج الجذابة خلال فترات ذروة وصول البث المباشر للمشاهدين في منازلهم بحيث يتحقق التوازن بين المحلي والوافد.

ولكن الرؤية المتفائلة ترى ان هذا البث الوافد يحفز البرامج المحلية على تحسين مستواها للدخول في المنافسة، وباعتبار وجود خطرين: خطر الانغلاق (وهو غير متاح تقنياً) وخطر الذوبان امام طغيان الثقافة الوافدة (وهو متاح) وتعتمد النظرة المتوازنة على الاحاطة بما يمثله التلفاز الغربي من ثقافة معينة تحمل قيما خاصة، وتعبر عن منطقة القوى السائدة فيها ومصالحها الاقتصادية والسياسية، وان كان هذا البث سوف يربطنا - من ناحية اخرى - بما يحدث في العالم المتقدم، وما يقدمه الاعلام المتقدم من مادة اخباريه وعلمية وثقافية تربط المشاهد العربي مع عالمه، وترتقي بمداركه واهتماماته وتخاطب ذكاءه وحسه النقدي. ولكي نمضي قدما في هذا الاتجاه فان علينا استيعاب هذا التحدي الوافد والتكيف معه ومحاولة صنع الضمانات والآليات التي تقلل من تأثير طغيان ثقافات وافدة الى اقل درجة ممكنة. كما ان نزوع اعلامنا العربي الى المضمون الديمقراطي واتاحته الفرصة للتعبير الخلاق عن حياة المواطنين، والسماح بتعددية الآراء، وانهاء احتكار التلفاز كلها تشكل منعطفات للمقاومة والاستجابة للتحدي المفروض علينا. ■



المكتبــة الخـالـديـة في القدس .. كنـز دفـين

بقلم الكاتبة : جوسلن عجمي
ترجمة : حمدي يوسف الكتوت ـ الظهران

في قلب مدينة القدس القديمة، وعلى مرمى حجر من حائط السور الغربي وقبة الصخرة المشرفة، تقبع المكتبة الخالدية على طريق باب السلسلة في موقع قد لايلحظه العابر من ذاك الدرب، مع انها تمثل أضخم وأرقى مكتبة فلسطينية خاصة، نظراً لاحتوائها على أكبر مجموعة من المخطوطات الاسلامية في العالم العربي.

توجد هذه المكتبة في مبنى قديم شيد في العصر المملوكي في القرن الثالث عشر الميلادي، وهو من المباني العريقة التي تشهد على فخامة مدينة القدس في القرون الوسطى. وقد جرى تحويل مجموعة الكتب التي تضمها هذه المكتبة، وهي ملك خاص لعائلة الخالدي، إلى مكتبة بصفة رسمية في سنة ١٩٠٠م. وانجز هذا التحويل القاضي الحاج راغب الخالدي (١٨٦٦-١٩٥٢م)، وذلك بموجب أحكام وقف يختص بهذه الأسرة ويقتصر على ذريتها (وقف ذري). وتحتوي المكتبة على حوالي ألف ومئتين من المخطوطات النفيسة، منها ١٨ مخطوطة باللغة الفارسية و٣٦ أخرى باللغة التركية، والبقية باللغة العربية. ويقوم الدكتور لورنس كونراد، من معهد ولكم Wellcome Institute في لندن، في هذه الآونة بفهرسة هذه المخطوطات. ومن المتوقع أن يصدر هذا الفهرس في العام الحالي ١٩٩٤م. كما تضم المكتبة أكثر من خمسة آلاف كتاب مطبوع - لم تجر فهرستها حتى الآن - فضلاً عن عدد لا يحصى من الوثائق والرسائل. وعلى وجه العموم فإن محتوياتها تكشف عن الموضوعات والاهتمامات الفكرية التي كانت تشغل بال الفئات المثقفة من الفلسطينيين خلال العهدين المملوكي والعثماني، كما تلقي الضوء على التراث الثقافي لأهل مدينة القدس منذ القرون الوسطى حتى الوقت الراهن.

أما من الناحية العمارية للمبنى الذي يضم المكتبة الخالدية، فإن النقوش والكتابات الموجودة على واجهته تعد مصدراً موثوقاً لمعرفة تاريخ انشائه. ومن الارجح أن ذلك حدث في وقت بين سنة ١٢٦٥ إلى ١٢٨٠م. وهناك نقش آخر موجود على واجهة الشارع يبين أن المبنى خضع لأعمال ترميم وتجديد في سنة ١٣٩٠م. وتمثل السمات العمارية للمبنى طرز الفن العماري في القرون الوسطى. فالباب الجميل، الذي حوّل نافذة في الواجهة الشمالية لقاعة المطالعة، مصمم على الطريقة الرومانسكية (طراز أوروبي في فن العمارة)، مما يشير إلى مرحلة باكرة من العهد المملوكي، بينما تمثل النافذة المطلة على طريق باب السلسلة طرازاً عمارياً من فترة لاحقة. وتدل أعمال الترميم التي اجريت للمبنى في مراحل تالية على أنها حدثت في عهد العثمانيين. وقد قامت أسرة الخالدي بتشييد مسجد للعائلة في سنة ١٨٧٦م، وهو الآن ملحق بالمكتبة ويستعمل قاعة للمطالعة.



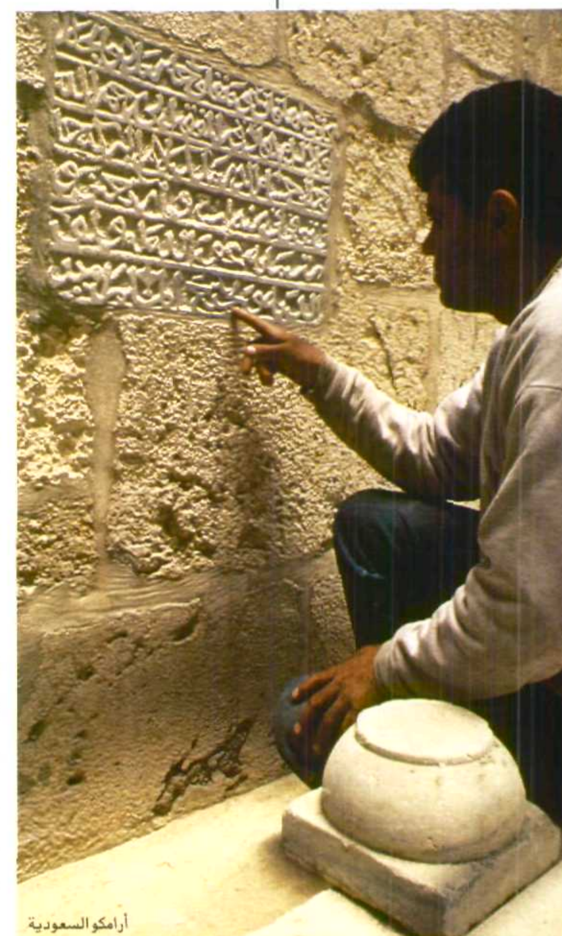
مارة يتسوقون باكراً في طريق باب السلسلة حيث توجد المكتبة الخالدية.

ومع أن الطراز العماري لمبنى المكتبة الخالدية يلخص كثيراً من تاريخ فن العمارة في المدينة المقدسة، إلا أن محتوياتها من مخطوطات وكتب هي التي تعد الكنز الحقيقي. وهي في المقام الأول مكتبة محلية الطابع، جمعها أناس من أهل المدينة، وبذا فهي تمثل وجهة نظرهم وتعكس اهتماماتهم فيما يتعلق بالشؤون الثقافية من حولهم، حسبما كانوا يعايشونها من موقعهم في الزمان والمكان. ويرجع الفضل في المحافظة على محتويات هذه المكتبة من الضياع إلى احكام «الوقف الذري»،



لتكون شاهداً على التاريخ الثقافي للمدينة المقدسة. ومن هذا المنطلق، ونظراً لفقدان العديد من المكتبات العامة والخاصة في فلسطين منذ سنة ١٩٤٨م، ودحضاً للزعم القائل بندرة التراث الثقافي ذي الأصول الفلسطينية، فإن المكتبة تعد دليلاً مهماً يشهد بروح المبادرة والأعمال الفكرية الخلاقة لدى أجيال عديدة من الفلسطينيين.

إن أهم محتويات هذه المكتبة هو مخطوطاتها القديمة من القرون الوسطى. ويفيد الدكتور كونراد، المشار إليه آنفاً، الذي قضى حتى الآن سبع سنوات وهو يعمل في تفحص المخطوطات وتصنيفها، بأن المجموعة تغطي شتى الموضوعات. وتحظى الشريعة الاسلامية وقضاياها بنصيب وافر، هذا بالاضافة إلى موضوعات كالطب والتاريخ والجغرافيا والفلك والتفاسير القرآنية والبلاغة والمنطق والفلسفة والشعر. وقد وجد أن اقدم مخطوطة في المكتبة، استناداً إلى اسلوب الكتابة فيها، ترجع إلى القرن العاشر للميلاد. كما وجدت مخطوطة اخرى تحمل تاريخ سنة ٤١٨ هجرية، أي في القرن الحادي عشر الميلادي، عن الفقه على المذهب المالكي، أحد المذاهب الفقهية الأربعة. وتبين هذه المخطوطة، كغيرها من محتويات المكتبة، المستوى الفكري الرفيع الذي بلغه جامعوها. وهناك نوع آخر من المخطوطات ذات الأهمية الفائقة، ألا وهي كتب التراجم والسير الذاتية العديدة التي دبجت بأقلام أصحابها أنفسهم، وليست من عمل النسّاخ. وتسمى الكتابات من هذا القبيل «بالمخطوطات الأم» أو أمهات المخطوطات، نظراً لأصالتها.



أرامكو السعودية

عامل يتفحص مبنى المكتبة الذي اقيم فوق مدفن يضم رفات ثلاثة من القادة العسكريين من القرن الثالث عشر الميلادي.

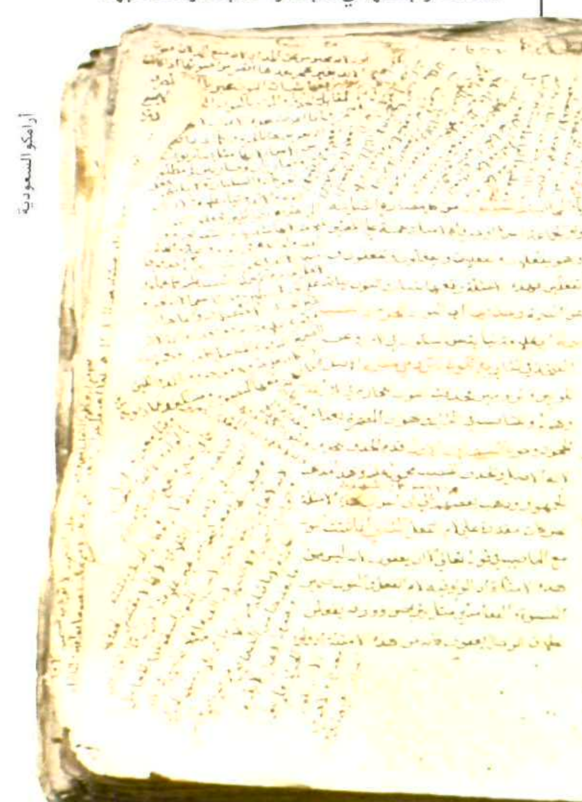
والمعلوم أن الكتب كانت قبل عصر الطباعة تنسخ باليد، وكان يؤدي هذا العمل نساخون محترفون، أو يتولى ذلك مؤلف الكتاب نفسه أو أحد طلابه. وكانت تقع، بطبيعة الحال بعض الأخطاء، أثناء عملية النسخ، كسقوط بعض ما جاء في الكتاب الأصلي سهواً، أو حدوث أغلاط املائية وتصحيفات، أو اعادة نسخ أخطاء سابقة ارتكبها نساخون آخرون. وربما قام بعض النساخين بادخال «تحسينات» على الكتاب المنسوخ عنه، سواء بالاضافة إليه أو الحذف منه، نتيجة لفرط الاعتداد والثقة بالنفس. كما يحدث أن تدمج في متن النسخة الجديدة بعض الملاحظات دونها قراء آخرون على حواشي الكتاب وهوامشه. وكانت الاخطاء من هذا القبيل تتراكم بفعل عمليات الاستنساخ المتكررة بعيداً عن الأصل، وبذلك تغدو النسخ المتأخرة مختلفة كثيراً عن الكتاب الأصلي. ومن هنا تتبدى الأهمية الخاصة التي تتميز بها «المخطوطات الأم» الموجودة في المكتبة الخالدية، حيث انها تعكس فكر مؤلفيها وقت تدوينها بشكل مباشر لم يتطرق إليه تحريف أو يعتوره تصحيف. ولذا فإن قارىء هذه المخطوطات ينتقل إليه الاحساس بالزمن الذي كتبت فيه بشكل صاف لاتشوبه شائبة.

وثمة صنف آخر من المخطوطات النفيسة في المكتبة الخالدية يعرف باسم «مكرمات»، وهي كتب تعد في الأصل بغرض الاهداء. وهناك بعض المكرمات التي أعدت لتهدى لمكتبات خاصة بالملوك والأمراء. وتتسم هذه المخطوطات بجودة فائقة من الزخرفة لتكون في غاية الجمال والتنسيق. وهي غالباً ما تكون موشاة بخطوط ذهبية اللون ومزينة بحبر

احدى المخطوطات التي تداخلت الملاحظات والتعليقات على مختلف هوامشها.

متعدد الألوان، مع مسافات واسعةتفصل بين السطور لاضفاء الأهمية والجمال على كل فقرة وباب من أبواب الكتاب. ومن بين هذه المكرمات هناك مخطوطة غنية برسوماتها وزخارفها الأخاذة. وهي بمثابة كتاب تقريظ واطراء اهدي للقائد صلاح الدين الأيوبي، بطل الحروب الصليبية، الذي أصبح المثل الأعلى في الفروسية والشهامة، حتى في أعين أعدائه. وقدكتبت هذه المكرمة في سنة ١٢٠١ ميلادية، وهي النسخة الأصلية (المخطوطة الأم)، وقد تولى زخرفتها فنان محترف فزينها برسومات وأشكال هندسية بديعة، وضمنها خريطة دقيقة للبروج الفلكية، فضلاً عن شجرة لأفراد العائلة التي ينتمي إليها صلاح الدين.

وتحتوي المكتبة أيضاً على عدد من «المسودّات» اي مشروعات مخطوطات لم توضع في صيغتها النهائية، وهي مكتوبة بأقلام مؤلفيها. وتتضمن هذه المسودات تعليقات وتصحيحات واعادة كتابة مع مراجعة للأفكار، مما يبين الطريقة التي كان هؤلاء المؤلفون يتبعونها لصياغة آرائهم والتعبير عن أفكارهم. وكمثل على ذلك هناك مجموعة من المقالات غير المكتملة، حيث أن كلًّا منها بلغ مرحلة مختلفة من الانجاز، لشخص يدعى عبد الكافي السبكي. ويرجع تاريخ كتابة هذه المقالات إلى الفترة بين عامي ١٣٤٠ - ١٣٤٨م، وكان أحد الدارسين على المؤلف المذكور هو الذي عثر على المقالات وجمعها في مجلد واحد بعد وفاة كاتبها.

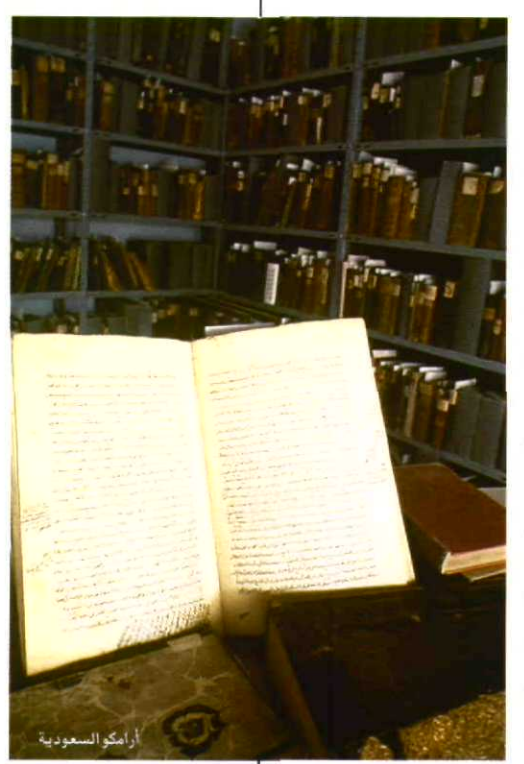

أرامكو السعودية

ويرجح أن أجمل مخطوطة في المكتبة الخالدية هي نسخة من القرآن الكريم يعود تاريخها إلى القرن السادس عشر، ابان العهد العثماني. فهي تعد بحق مخطوطة رائعة تليق بالعرض في المتاحف. فالورق من الحجم الكبير جداً. والمصحف مجلّد بنوع من الجلد الطبيعي المحزز والحرير الأخضر اللون. ومما يشد الانتباه بشكل خاص الزخارف الذهبية التي زينت بها احزاب المصحف والرسومات على هوامش الصفحات لتبيان الاجزاء المختلفة في أثناء الترتيل والتلاوة.

وتوجد في المكتبة مواد وأوراق متنوعة، غير المخطوطات والكتب، كمستندات «الإجازات» الشبيهة بالشهادات الرسمية من المعاهد والجامعات في العصر الحاضر. وتلقي هذه الوثائق الضوء على الممارسات التعليمية التي كانت متبعة في الأزمان الماضية. فالاجازة تتضمن اسم الشخص الذي منحت له وتشهد له بالتأهيل لتدريس مادة معينة نظراً لتلقيه العلم الخاص بها على أحد العلماء المشهود لهم بالمعرفة العميقة في هذا المضمار. ومن شأن اتباع هذه الطريقة في اعطاء الاجازات كمنح الشهادات واصدار كشوف العلامات في ايامنا هذه، توفير الضمان اللازم للمحافظة على استمرارية انتقال العلم من جيل إلى آخر بالشكل الصحيح وعلى اساس متين.

ومن منطلق الاحترام الشديد للكلمة المكتوبة الذي يسود العالم الاسلامي، فإن جامعي المكتبة الخالدية لم يحاولوا التخلص من أي كتب تالفة أو أوراق متناثرة من المخطوطات التي بحوزتهم، بل سعوا إلى حفظها وتخزينها في غرفة خاصة. فهناك عدد من الصناديق المملوءة بمجلدات مفككة الصفحات وأوراق تالفة. وقد جرى حفظ المستندات والرسائل في حقائب مصنوعة من الكتان كأغلفة الوسائد، وهي طريقة كانت شائعة الاستعمال في مناطق عديدة من العالم العربي، وما تزال باقية حتى الآن في بعض اماكنه.

وهناك عادات وممارسات قديمة جرى توثيقها بتدوين


أرامكو السعودية

نسخت هذه المخطوطة قبل ٥٦٣ عاماً. وهي معروضة في غرفة تضم مئات المخطوطات القيمة التي وضع بعضها في صناديق محميّة لحين الانتهاء من أعمال تجديد مبنى المكتبة.



معلومات عنها على هوامش الكتب وفي الصفحات الخالية من المجلدات، حيث كان أصحاب هذه المؤلفات أو قارئوها يلجأون احياناً إلى كتابة ملاحظاتهم ومذكراتهم الخاصة في تلك الفراغات. فعلى سبيل المثال كتب أحدهم قائمة كاملة بالمواد اللازمة لبناء بيت له موضحاً فيها كل التفاصيل، بما في ذلك الأسعار وأجور العمال. ويرجع الفضل إلى هذه الملاحظات وغيرها للوقوف على جزء من تفاصيل الشؤون اليومية لحياة الناس في مدينة القدس في سنة ١٧٨٥م. وفي هذا السياق وجد أن أحد أفراد عائلة الخالدي قد دوّن ذكريات له حول رغبته في امتلاك كتاب يتعلق بشرح وتفسير الاحاديث النبوية الشريفة، وكيف أنه ارتحل من فلسطين إلى الاسكندرية للحصول على

أرامكو السعودية

مخطوطات نفيسة من القرون الماضية.

هذا الكتاب المكون من خمسة مجلدات في خمسة آلاف صفحة. ثم يذكر أيضاً أن أحد هذه المجلدات قد سقط في البحر أثناء رحلة الاياب من الاسكندرية ويصف الحزن الذي احس به وكيف انه عزم على الحصول على نسخة بديلة للمجلد المفقود. ومع اننا لانعرف بقية القصة ولانعلم ان كان هذا الشخص عاد إلى الاسكندرية أم لا، إلا أننا ندرك من هذه الرواية كيف أن مجرد امتلاك كتاب كان يستحق بذل الكثير من المال والجهد، حتى لو اقتضى الامر سفراً بعيداً ومشقة اكيدة في ظروف تلك الايام.

ان المكتبة الخالدية مجهولة تقريباً للناس في الخارج، ولكنها تعد معلماً بارزاً بالنسبة للفلسطينيين، لاسيما أهل مدينة القدس. والجدير بالذكر أن محتوياتها من كتب ومخطوطات ومستندات موجودة الآن، بصفة مؤقتة، في بيت أحد أفراد أسرة الخالدي، وذلك لحين الانتهاء من أعمال الترميم والتجديد التي تجرى حالياً على مبنى المكتبة.

ويذكر في هذا الصدد أن اسم عائلة الخالدي من الاسماء الذائعة الصيت في المدينة المقدسة، فهو ليس مرادفاً للعلم والادب فحسب بل يدل أيضاً على الأصل العريق والنسب الكريم - يقال ان أفرادها ينتسبون إلى خالد بن الوليد. وهو اسم تفتخر به مدينة القدس كلها لأنه يمثل جزءاً لايتجزأ من نسيجها الاجتماعي وتاريخها عبر حقبة طويلة من الزمن. فأبناء هذه الأسرة يقيمون فيها دون انقطاع منذ أن حررها صلاح الدين الأيوبي في سنة ١١٨٧م حتى الوقت الحاضر، ولكن ارتباطهم بها يرجع إلى ابعد من هذا التاريخ. ففي آخر زيارة للمكتبة قام بها الدكتور كونراد في سنة ١٩٩٣م عثر على مخطوطة من تأليف كاتب ينتمي إلى هذه الأسرة يدعى محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الخالدي، وهي مكتوبة بخط أحد النساخ في سنة ٦٠٨ هـ (١٢٠٨م). ولكنه وجد أن المخطوطة تخلو تماماً من أي اشارة إلى الصليبيين، مما يدل على أن الأصل كتب في زمن سابق لنشوب الحروب الصليبية.

ونظراً للأهمية الدينية الفائقة التي تتميز بها مدينة القدس فليس من المستغرب أن يلجأ المماليك في مصر إلى الاستعانة بعلماء مشهورين من القدس وتوليتهم منصب قاضي القضاة، وذلك لاضفاء الشرعية على سلطانهم وحكمهم. ففي عهد المماليك وحدهم وقع الاختيار على ثلاثة من عائلة الخالدي على الأقل لشغل هذا المنصب في فترات مختلفة. وكان كل واحد منهم ينتقل إلى القاهرة لممارسة عمله من هناك. أما في العهد العثماني فقد تولى أفراد من هذه العائلة مناصب قضائية معظم الوقت. وفي العقود التي سبقت الحرب العالمية الأولى عمل كثير منهم في مناصب ادارية ودبلوماسية وبرلمانية. وتحتوي المكتبة على العديد من انجازاتهم وأعمالهم الفكرية.

ان الكتب المطبوعة في المكتبة الخالدية تغطي، كالمخطوطات فيها، مجالًا واسعاً من الموضوعات والاهتمامات الثقافية، مع التركيز على شؤون الشريعة الاسلامية والاحداث التاريخية. ويلاحظ أن الكثرة من هذه الكتب طبعت ونشرت قبل سنة ١٩٠٠م، وان العديد منها هو الطبعة الأولى للكتاب. وتعكس هذه المجموعة من الكتب انغماس جامعيها في الشؤون الفكرية والعلمية المتنوعة التي كانت تستحوذ على الاهتمام في أوقاتها، بما فيها أعمال المستشرقين الاوروبيين في القرن التاسع

عشر. وهناك أيضاً كتب تتناول موضوعات العلوم الطبيعية، كالكيمياء وغيرها، ومستندات حول أعمال المسح للكشف عن الآثار ورسم الخرائط لفلسطين.

وتجدر الاشارة إلى أن اهتمام أسرة الخالدي بالأعمال الثقافية والوطنية التي تتعلق بفلسطين ما يزال قائماً حتى الآن، وما تزال هذه الأعمال ترتبط بشكل أو آخر بمدينة القدس والمكتبة الخالدية. ويعد الاستاذ الجامعي وليد الخالدي، الذي ولد في القدس وتلقى تعليمه في جامعة اكسفورد، من الأفراد المرموقين حالياً وممن حققوا شهرة عالمية. وقد عمل وليد الخالدي في جامعة اكسفورد والجامعة الامريكية في بيروت وجامعة هارفرد. وهو الآن أحد الباحثين البارزين في مركز جامعة هارفرد لدراسات الشرق الأوسط. ولكونه يتمتع بثقافة والمام واسع وعميق بالشؤون الفلسطينية فقد اختير للعمل كعضو بارز في الوفد الاردني - الفلسطيني للمشاركة في محادثات السلام التي جرت في سنة ١٩٩٢م. واحدث مؤلفات الدكتور وليد الخالدي كتاب ضخم بعنوان All that Remains، وهو يحتوي على ٧٠٠ صفحة توضح بالتفصيل المدعم بالوثائق والمستندات كيف جرى ازالة ٤١٦ قرية فلسطينية من الوجود خلال عمليات حرب ١٩٤٨م.

وهناك أيضاً الاستاذ الجامعي رشيد الخالدي، الذي يدرّس مادة التاريخ الحديث للشرق الأوسط في جامعة شيكاغو، والذي يتولى ادارة مركز دراسات الشرق الأوسط فيها. وبصفته مؤرخاً وباحثاً مستقلاً فقد تمكن من الاطلاع على المستندات والارشيف الخاص بمنظمة التحرير الفلسطينية خلال اعداد كتابه المعنون Under Siege: PLO Decisionmaking During the 1982 War. وقد وقع الاختيار على الدكتور رشيد الخالدي ليكون عضواً في اللجنة الاستشارية الفلسطينية الخاصة بمحادثات السلام. والجدير بالذكر أنه هو عضو الأسرة المكلف بالاطلاع ومراجعة الأوراق الخاصة والكتابات الشخصية الموجودة في المكتبة الخالدية.

لقد شارفت أعمال الترميم والتجديد في المكتبة على مراحلها النهائية. وتمت المحافظة خلال ذلك على هندسة المبنى بما يحتويه من حجرات دون ادخال تغييرات تذكر عليه. فهناك قاعة للمطالعة ومستودع لحفظ المخطوطات، حيث سيجري وضع هذه التحف على أرفف، وساحة خارجية جرت تغطيتها الآن بسقف زجاجي مائل، ثم غرفة بها خزانة مقفلة لحفظ الأوراق المهمة.

ويتم تمويل الانفاق على المكتبة عن طريق المنح والهبات وما يقدمه أبناء عائلة الخالدي من تبرعات. وتعمل جمعية أصدقاء المكتبة الخالدية، وهي مؤسسة لاتهدف إلى الربح مسجلة في ولاية ماساشوستس الامريكية، كوسيط لتوصيل المعونات المالية. كما تبرعت الحكومة الهولندية بمبالغ سخية لتغطية نفقات أعمال المحافظة على المخطوطات وفهرستها، فضلاً عن تكاليف ترميم وتجديد المبنى. وقدمت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) منحة صغيرة لشراء وتركيب معدات خاصة للتحكم في أجواء المكتبة، لاسيما مستودع المخطوطات، منعاً للرطوبة التي تؤثر بشكل ضار على الكتب.

ويتولى الاشراف على صيانة المخطوطات خبير هو طوني بيش من معهد ولكم في لندن، وسيكون الاطلاع على هذا الكنز من الأعمال الفكرية عقب ذلك متاحاً للجميع لأغراض البحث والدراسة. وتتم الصيانة بتناول كل مخطوطة على حدة، حيث يجري فك جميع أوراقها وفحصها ورقة ورقة، ثم تنظيف اسطح الصفحات مما علق بها من اوساخ وغبار وتعالج، ويعاد تجميع المخطوطة وتجليدها مجدداً. وقد وضعت حوالي ٣٥٠ مخطوطة - من المخطوطات ذات الأوراق التي تعرضت للتلف أكثر من غيرها - في صناديق خاصة خالية من الأحماض، صنعت خصيصاً لوقاية المخطوطات من الحشرات والغبار وتأثير الضوء، وذلك، ريثما يجري تفحصها ومعالجتها. ويستغرق مثل هذا العمل وقتاً طويلاً، ومن المتوقع الانتهاء من فحص وتنظيف ومعالجة وتجليد جميع المخطوطات بعد سنة ١٩٩٥م.

نسخة من مصحف عثماني من القرن السابع عشر الميلادي.

وتتجه النوايا في هذه الآونة إلى اجراء اصلاحات وتحسينات على مبنى مجاور للمكتبة الخالدية يرجع تاريخه إلى العهد المملوكي وتزينه قبة جميلة، وذلك لالحاقه بالمكتبة كتوسعة ضرورية. وسوف يستخدم هذا المبنى لحفظ الكتب والمواد المطبوعة، كما ستتيح غرفه العشر ايجاد حيز مناسب لعرض بعض المخطوطات والمستندات، فضلاً عن امكان استضافة باحثين زائرين فيها. وهكذا فان المكتبة الخالدية ستظل للأجيال القادمة مصدراً لايضاهى للاطلاع على الأعمال الأدبية والتاريخية. ■

[بتصرف عن مجلة أرامكو وورلد Nov./Dec 1993]

نظريـة السياق عند اللغويين العرب وأثره في تحديد المعنى

بقلم : د. صاحب أبو جناح ـ العراق

يشغل السياق في البحث اللغوي المعاصر حيّزا واسعـا ، ويستحوذ دوره في تحديد الدلالة على انتباه الباحثين اللغويين ، ويستأثر باهتمامهم حتى يصير نظرية متكاملة ترتبط بجهود علماء كثيرين يأتي في مقدمتهـم عـالم اللغـة الانكليزي «فيرث»، الـذي وضع تـأكيدا كبيرا على الـوظيفة الاجتماعيـة للغة .

« ومعنـى الكلمـة عنـد اصحـاب هـذه النظريـة يحدّده استعمالها في اللغـة او الطريقـة التـي تستعمـل بهـا أو الـدور الـذي تؤديه ، ولهذا يصرح فيرث بأن المعنـى لا ينكشف الا من خـلال تسييق الـوحدة اللغويـة اي وضعها في سيـاقات مختلفة »(١).

ويغـالي بعـض البـاحثين في دور السيـاق فيقـرر ان معنـى الوحدة الكلامية يعتمد بشكل جوهري على السياق(٢).

ويؤكد ذلـك لغوي آخر فيقول : لا تتمتـع الكلمات بمعنى ، ولكنها تتمتع بوظائف(٣).

ان نظريـة السياق إذا طبقت بحكمـة - كما يقول أولمان - صـارت حجر الاسـاس في علم المعنـى، وقد قـادت بالفعـل إلى الحصول على مجموعة من النتـائج الباهرة في هذا الشأن . انها مثلا احـدثت ثـورة في طرق التحليـل الادبي، ومكنت الـدراسة التاريخيـة للمعنى من الاستنـاد إلى اسس حـديثة اكثر ثبـاتا وقدمـت لنا وسائل فنية حـديثة لتحديد معـاني الكلمات، مما ظهر على يد العالمين اوجدن وريتشاردز، وفوق هذا كله وضعت مقـاييس لشرح الكلمات وتـوضيحها عـن طـريق التمسـك بما سماه فيرث «تـرتيـب الحقـائق في سلسلة مـن السيـاقـات أي سياقـات كل واحد منها ينضـوي تحت سياق آخر، ولكـل واحد منهـا وظيفـة بنفسـه ، وهـو عضـو في سيـاق أكبر، وفي كـل السياقـات الاخرى، وله مكـانه الخاص فيما يمكـن ان نسميه سياق الثقافـة، ويتواضع اولمان فيعترف بأن هـذا المنهج طموح إلى درجة لا يمكن معهـا في كثير من الاحايين الا تحقيق جـانب واحد منه فقـط، ولكنه مع ذلك يـوفر معايير تمكننا مـن الحكم على النتائج الحقيقية حكما صحيحا(٤).

وقبـل أن يقـرر البحـث اللغـوي المعـاصر هـذه الحقـائق ويضعها في اطار اوسع دعي «نظرية السياق» كان علماء اللغة العرب والاصوليون قد انتهـوا إلى التنبه إلى جملة من الحقائق المتصلـة بقـوام هـذه النظريـة، فـابـن القيـم « ت ٧٥١ - ١٣٥٠م) وهو من علماء اللغة والنحو والأصول يقرر بوضوح ان السيـاق يرشـد إلى تبيين المجمـل، وتعيين المحتمل والقطـع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالـة، وهو من اعظـم القرائن الـدالة على مراد المتكلـم، فمن اهمله غلط في نظره ، وغالط في مناظرته ، فانظر إلى قوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ (الـدخان : ٤٩) كيـف تجد سياقه يدل على انه الذليل الحقير(٥).

ان مناهج النظر اللغوي المعاصر استقرت على مبدأ التعامل مع النص كلا واحدا لا يتجزأ ، فالأسلوبيون والسياقيون يرون ان السياق ينبغي ان لا يقتصر على الكلمات والجمـل الحقيقية السابقـة واللاحقة فحسب، بـل ينبغي ان يشمل القطعـة كلها والكتاب كله، كما ينبغـي ان يشمـل - بوجه من الوجـوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات(٦).

وهـذه الحقيقة المنهجيـة كانـت واضحـة لـدى الشاطبـي (ت ٧٩٠هـ - ١٣٨٨م) فقد تـأكـدت لديـه اهميـة الوعـي بالظـروف والملابسات المحيطة بالنـص، فضلا عما توحـي به الدلالات اللغوية لمفرداته ومكوناتـه العامة . وانتهى به التأمل والبحث إلى «أن المساقات تختلف بـاختلاف الأحوال والأوقات والنوازل، وهو ما يقرره بوضوح علم المعاني والبيان ... ومن هنا لا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على اوله واوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلـف، فإن فرق النظر في أجزائه فلا يصح الاقتصاد في النظـر على بعض اجزاء الكلام دون بعض الا في موطن واحد، وهو النظر في فهم الظاهر بحسب اللسان العربي وما يقتضيه، لا بحسب مقصود المتكلم، إذا صح له الظاهر على العربية رجع إلى نفس الكلام، فعمّا قريب يبدو له منه المعنى المراد »(٧).

ان وضوح مبدأ وحدة النص عند العلماء العرب يجد تعبيره الصريح في اشتراطهـم استحضار النـص القرآني جميعـه عند تفسير بعضـه، فمن اراد تفسير الكتـاب العزيـز طلبه اولا مـن القرآن، فما اجمل منـه في مكان فقد فصِّل في موضع آخـر، وما اختصر في مكان فقد بُسط في موضع آخر منه »(٨).

وإذا كانت هـذه الاشارات جلية في توضيـح الاطار النظري الذي رسمه الاصـوليون، وجلهم من المشتغلين بـدراسة اللغة والنحـو، لعنصر السيـاق ودوره في عمليـة الاداء والـوظيفـة الابلاغية للغـة، فإن أئمة النحويين واللغويين كانـوا قد تنبهوا

منذ وقت مبكر إلى دور السياق في فهم النص اللغوي والتعامل معه، بل إلى الدور الخطير الذي يشغله في نظرية المعنى عندهم، ومن ثم انطلقت تحليلاتهم للنص من خلال تصوير الموقف الذي اطلق فيه النص أو ارتجل فيه، حتى يتيسر لتلاميذهم الوقوف على مجمل الملابسات والدواعي التي رافقت عملية التعبير واسهمت في توجيهها واختيار الصيغ الملائمة لها .

وتظهر المؤشرات الأولى التي تنبه لدور السياق في فهم النص وتحليل الوظائف اللغوية المكونة لنسيجه وبنيته في اقدم النصوص النحوية المدونة التي بين ايدينا .

ففي كتاب سيبويه يقف المؤلف عند عبارات وحكايات متعددة محكية عن العرب، منها عبارات مختصرة يغلب عليها طابع الاختزال والتكثيف لكثرة ما ترددت على ألسنتهم، ومنها عبارات مجتزأة يصح القول عنها انها مبتورة اعتمد فيها على فهم السامع وحسن ادراكه، وهي «حالة ما إذا علمت أن الرجل مستغنٍ عن لفظك بما تضمره».

يقول سيبويه في باب ما يضمر فيه الفعل : وذلك إذا رأيت أن رجلا متوجها وجهة الحاج قاصدا في هيئة الحاج، فقلت : مكة ورب الكعبة، حيث زكنت انه يريد مكة . كأنك قلت : يريد مكة والله(١٠) ، أو رأيت رجلا يسّدد سهما قِبَلَ القرطاس فقلت: القرطاس والله، أي يصيب القرطاس ، وإذا سمعت وقع السهم في القرطاس قلت : القرطاس والله، اي أصاب القرطاس، ولو رأيت ناسا ينظرون الهلال وأنت منهم بعيد فكّبروا لقلت : الهلال ورب الكعبة، أي أبصروا الهلال (١١).

فسيبويه حين يوضح هذه الأنماط التعبيرية المسموعة عن العرب، ويحلّل الظواهر الاعرابية الموافقة لها يستعيد السياق الذي ولدت فيه والجو الاجتماعي أو النفسي الذي رافق ولادتها مما سماه « الحال » اي المقام الذي قيلت فيه .

وقد يبدو غريبا القول أن تأثير عناصر الموقف الخارجي في استعمال اللغة يبلغ سبعين في المائة من درجة تأثير الكلام في مواقف الخطاب وهذه مرجعها إلى ما يكون من النظرات المتبادلة عند الحديث ، وأنّ قيمة الدلالة التعبيرية وتأثيرها يتدنيان إلى ثلاثين في المائة إذا اقتصر الأمر على مجرد الكلام المنطوق (١٢).

ان هذا الأصل الذي تقرر لدى الباحثين المعاصرين من الغربيين سبق لواحد من كبار فقهاء العربية أن استفاض في الحديث عنه وعقد به فصلا او مبحثا في احد مصنفاته المشهورة في تاريخ العربية. فقد عرض ابوالفتح بن جني (ت ٣٩٢هـ) في كتاب الخصائص لدور المشاهدة والعيان او العناصر غير اللغوية في اداء المعنى أو وظيفة الابلاغ .

يقول ابن جنّي : فالغائب - ويريد بذلك الظرف الذي قيل فيه النص - ما كانت الجماعة من علمائنا - اي الرواة - تشاهده من احوال العرب ووجوهها ، وتضطر إلى معرفته من اعراضها وقصودها .. ألا ترى إلى قوله :تقول -

وصكّت وجهها بيمينها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

فلو قال حاكيا عنها : أبعلي هذا بالرحى المتقاعس ؟! من غير ان يذكر صك الوجه لأعلمنا بذلك انها كانت متعجبة منكرة. لكنه لما حكى الحال فقال : وصكّت وجهها، علم بذلك قوة انكارها وتعاظم الصورة لها، هذا مع أنك سامع لحكاية الحال، غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف، ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين. وقد قيل : ليس المُخبَر كالمعاين .. وبعدُ فالحمّالون والحماميون والساسة والوقادون ومن يليهم ويُعتدّ منهم، يستوضحون من مشاهدة الأحوال ما لا يحصله ابو عمرو من شعر الفرزدق إذا أخبِر به عنه، ولم يحضره ينشده .. فلو كان استماع الأذن مغنيا عن مقابلة العين، مجزئا عنه لما تكلف القائل ولا كلف صاحبه الاقبال عليه، والاصغاء إليه، وعلى ذلك قال :

العين تبدي الذي في نفس صاحبها
من العداوة أو ودّ إذا كانا

وعلى ذلك قالوا : رُبّ إشارة أبلغ من عبارة .. وقال لي بعض مشايخنا رحمه الله : أنا لا أحسن أن أُكلّم إنسانا في الظلمة (١٣).

ولعل أوضح صورة يتجلى فيها ادراك علماء العربية لدور السياق في توجيه معنى اللفظ وتنويعه وتوليد معاني جديدة فيه هي ظاهرة التأليف فيما سمي بكتب الوجوه والنظائر، ويريدون بالوجوه الدلالات المتنوعة للفظ الواحد بحسب ما يقتضيه السياق، ولأن النص القرآني كان مجالا رحبا لتوسيع آفاق العربية واستثمار طاقاتها الكامنة فيها على مستوى الألفاظ والأساليب فقد اقتصر التأليف في هذا الميدان من الدراسات الدلالية على المفردات القرآنية .

وقد ظهرت في هذا المجال سلسلة من المصنفات شارك فيها علماء ولغويون ومفسرون من أمثال مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ) وهارون بن موسى (ت ١٧٠هـ) ويحيى بن سلام (ت ٢٠٠ هـ) والحكيم الترمذي (ت ٣٢٠هـ) وغيرهم كثير .

والواضح ان الجهود الأولى لأهل التفسير والمؤولين من الصحابة والتابعين والعلماء الذين تلقّوا النصّ القرآني واستوعبوا مراميه ومقاصده من خلال معرفتهم بظروف التنزيل ومناسباته وبسياق احكامه ونصوصه أثمرت هذه البيانات التي قيّدها المصنفون في كتب الوجوه والنظائر. بل أن بعضهم ممن لم يقف على أثر منقول في تفسير ألفاظ بعينها، استعان في تفسير مدلولاتها زيادة على ما استمده من اهل اللغة بما اقتنصه من السياق الذي وردت فيه هذه الألفاظ على نحو ما فعل الراغب الاصفهاني في كتابه « مفردات القرآن» (١٤) ■

المراجع :

١ - علم الدلالة : د. أحمد مختار عمر / ص ٦٨ .

٢ - اللغة والمعنى والسياق : جون لاينز / ص ٢١٥ .

٣ - علم الدلالة : بيير جيرو ، ترجمة منذر عياشي / ص ٤٢ .

٤ - دور الكلمة في اللغة : ستيفن اولمان . ترجمة د. كمال بشر / ص٦٦، ٦٧ .

٥ - البرهان للزركشي - ٢/ ٢٠٠ وبدائع الفوائد - لابن القيم ٤/ ٩.

٦ - دور الكلمة في اللغة : ص ٦٢ .

٧ - الموافقات للشاطبي - ٣/ ٤١٣ وانظر دراسة المعنى عند الاصوليين ص ٢٣٢.

٨ - البرهان للزركشي - ٢/ ١٧٥ والاتقان للسيوطي - ٣/ ٢٠٠ .

٩ - الاصول في النحو - ٢/ ٢٤٧ والكتاب - ١/ ١٢٨ .

١٠ - كتاب سيبويه (ط بولاق) ١/ ١٢٩، ١٤٨

١١ - المصدر السابق - ١/ ١٤٨ .

١٢ - نحو اللسانيات الاجتماعية في العربية: د. نهاد الموسى (بحث في المجلة العربية للدراسات اللغوية، م ٤ ع١ ص١٣ .

١٣ - الخصائص لابن جني ١/ ٢٤٥ .

١٤ - البرهان للزركشي ٢/ ١٧٢



بقلم الاستاذ : قطب الريسوني - المغرب

* احتار في امره :

- يقولون « احتـار في امره » اي لم يدر وجه الحق والصـواب ، وهذا خطأ والصواب « حـار في امره » لأن الفعل «احتار» لم تنطق به العرب، والمسموع عنهم الفعـل «حار» و «استحار» وقد أخطأ أحد الشعراء حين قال : فالنفس بين تهيب مما تـرى وتلهف فاحتـرت من امريها

* خشي من :

يقولون « خشي من الله » وهذا خطـأ والصواب « خشي الله » دون ان نعدي الفعل « خشي » بحرف الجر «من»، يقـول عز وجـل في الآية ٣٧ من الأحـزاب ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ . وقـد ورد الفعل «خشي» متعديا تعديا مباشرا مرات عديدة في القرآن الكريم .

* امر خطير :

يقولون « هذا امر خطير » ، وهـذا خطأ والصواب « هذا امر ينذر بالخطر » أو « شـديد الخطر » ، لأن من المعاني اللغـوية لكلمـة «خطير» «الرفعـة» «الشرف» و«السمو» فنقـول « رجل خطير » اي عليّ الشـأن، ومثلها « خطورة » - بضم الخاء - فنقول « خطر الرجل خطورة » اي كان ذو منزلة رفيعة ومقام جليل .

* خولّ إليه :

يقولون « خوّل إليه القانون حق التملك » فيعدون الفعل « خول » إلى مفعوله الأول بحرف الجر « الى » ، وهذا خطأ والصواب ان يعدى بنفسه كما يتعدى إلى مفعولة الثاني، فنقول « خوله القانون حق التملك » .

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ﴾ (الزمر : ٤٩).

وقد جاء في « الصحـاح » للجوهري « خوله الله الشـيء ، ملّكه اياه » ، وجاء في المصبـاح المنير للفيومي «خولّه الله مالا . اعطاه»، وجاء في « المعجم الوسيط » خوّله الشيء : اعطاه اياه تفضلا .

* ليل داكن :

يقولون « كان الليل داكنا» وهذا خطأ والصواب « كـان الليل ادكن » ، لأن النعت إذا كان لونا يرد على وزن «افعل» للمـذكر ، وعلى وزن «فعلاء» للمـؤنث . فنقول : دكن يـدكن دكنا ودكنـة، فهو «ادكن» ، وصفـر يصفر صفرة، فهو «اصفر».

قال لبيد بن ابي ربيعة في معلقته :

اغلي السباء بكل ادكن عاتـق او جونة قدحت وفـض ختامها

* ادمن على :

يقولون « ادمن على المطالعة » فيعدون الفعل « ادمن » بحرف الجر « على » ، وكأنهم يقيسونه على الفعل « واظب » وهذا خطأ والصواب « ادمن المطالعة » ، لأن « ادمن » يتعدى بنفسه، فنقول « ادمن الشيء »، إذا ادامه ولم يقلع عنه، وقد انشد احد الشعراء :

فقلنا أمن قبر خرجت سـكنته لك الويل أم ادمنت جحر الثعالب



أرامكو السعودية

(القافلة) في ربوع سلطنة عُمان



المكتبة الخالدية في القدس .. كنز دفين